القبحاء
في عالم بلغ الجمال فيه غايته،
يعد ذو الجمال العادي قبيحًا.
سكوت ويسترفيلد

القبحاء

القبحاء

في عالم بلغ الجمال فيه غايته،
يعد ذو الجمال العادي قبيحًا

تأليف
سكوت ويسترفيلد

ترجمة
فايقة جرجس حنا

هنـــداوي

القبحاء

سكوت ويسترفيلد

Uglies

Scott Westerfeld

الطبعة الأولى ٢٠١١م
رقم إيداع ١٦٠٤٥/ ٢٠١٠
جميع الحقوق محفوظة للناشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة
المشهرة برقم ٨٨٦٢ بتاريخ ٢٦ /٨/ ٢٠١٢
مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة
إن مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره
وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه
٥٤ عمارات الفتح، حي السفارات، مدينة نصر ١١٤٧١، القاهرة
جمهورية مصر العربية
تليفون: ٢٢٧٠٦٣٥٢ ٢٠٢ + **فاكس:** ٣٥٣٦٥٨٥٣ ٢٠٢ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

ويسترفيلد، سكوت
القبحاء/سكوت ويسترفيلد.
٣٨٦ص، ١٦×٢٣سم
تدمك: ٨ ٥٩ ٦٢٦٣ ٩٧٧ ٩٧٨

١- القصص الإنجليزية

أ- العنوان

٨٢٣
يُمنَع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية، ويشمل ذلك التصوير الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مضغوطة أو استخدام أية وسيلة نشر أخرى، بما في ذلك حفظ المعلومات واسترجاعها، دون إذن خطي من الناشر.

Arabic Language Translation Copyright © 2011 Hindawi Foundation for Education and Culture.
Original English Language edition Copyright © 2005 by Scott Westerfeld.
Published by arrangement with Simon Pulse, an imprint of Simon & Schuster Children's Publishing Division.
All rights reserved. No part of this book may be reproduced or transmitted in any form or by any means, electronic or mechanical, including photocopying, recording or by any information storage and retrieval system, without permission in writing from the Publisher.

المحتويات

الجزء الأول: من القبح إلى الجمال	٩
١- مدينة نيو برتي تاون	١١
٢- أفضل صديقين إلى الأبد	١٩
٣- شاي	٢٩
٤- محو الذكريات	٣٧
٥- مواجهة ما يحمله المستقبل	٤٣
٦- الوقوع في براثن الملل	٤٩
٧- منحدرات نهرية	٥٥
٨- مدينة الأطلال الصدئة	٦٣
٩- في انتظار ديفيد	٦٩
١٠- العراك	٧٥
١١- الخدعة الأخيرة	٨٣
١٢- عملية التجميل	٩٣
١٣- السلطات الخاصة	٩٩
١٤- قبيحة إلى الأبد	١٠٧
١٥- بيريس	١١٥
١٦- التجسس	١٢٣
الجزء الثاني: منطقة الضباب	١٢٩
١٧- الرحيل	١٣١
١٨- وجبة الاسباجتي بولونيز	١٣٧

١٩- أفدح الأخطاء ١٤٥
٢٠- الجانب الذي تزدرينه ١٥٣
٢١- عاصفة نارية ١٥٩
٢٢- عيون جاحظة ١٦٣
٢٣- أكاذيب ١٧١
٢٤- عارضة أزياء ١٧٧
٢٥- إلى العمل ١٨٣
٢٦- ديفيد ١٩١
٢٧- العشيق ١٩٩
٢٨- الارتياب ٢٠٧
٢٩- الشجاعة ٢١٩
٣٠- السر ٢٢٧
٣١- عقول جميلة ٢٣٥
٣٢- حرق الجسور ٢٤١

الجزء الثالث: إلى النيران ٢٥٣
٣٣- الغزو ٢٥٥
٣٤- حظيرة الأرانب ٢٦٣
٣٥- في حال تحطمها ٢٦٩
٣٦- الهروب ٢٧٧
٣٧- تالي المدهشة ٢٨٣
٣٨- الأطلال ٢٨٩
٣٩- مادي وآز ٢٩٥
٤٠- وباء البترول ٣٠١
٤١- مناظر مألوفة ٣٠٧
٤٢- شركاء في الجريمة ٣١٧
٤٣- فوق الحافة ٣٢٥
٤٤- بداخل مبنى السلطات الخاصة ٣٣١
٤٥- الإنقاذ ٣٣٧

٤٦- الفرار ٣٤٣
٤٧- وحيدة طوال الليل ٣٥١
٤٨- قسم أبقراط ٣٥٧
٤٩- اعترافات ٣٦٥
٥٠- باتجاه مجرى النهر ٣٦٩
ابحث عن الجزء الثاني من هذه الثلاثية الرائعة بعنوان: الحسان ٣٧٣

الجزء الأول

من القبح إلى الجمال

«أليس من الجيد أن نجعل المجتمع يعج بأناس فائقي الجمال؟»

يانج يوان، في صحيفة نيويورك تايمز

الفصل الأول

مدينة نيو برتي تاون

في أوائل فصل الصيف كسا اللون الأبيض السماء ليماثل لون قيء القطة.

بالطبع اعتقدت تالي أنه لكي تصل إلى درجة اللون الوردي لهذا القيء عليك أن تطعم قطتك فقط بطعام القطط ذي نكهة السلمون فترة من الوقت. وفي السماء ماثلت السحب التي تسوقها الرياح في شكلها شكل السمك إلى حد ما، فأدت الرياح عالية الارتفاع إلى تموج شكلها لتشبه حراشف السمك. وبينما كان ضوء النهار في طريقه إلى التلاشي تجلت في السماء ثلمات زرقاء داكنة كساها الظلام، وكأن محيطًا عميقًا من المياه الباردة ملأ السماء.

في أي صيف آخر كان مغيب الشمس سيبدو جميلًا، لكن لم يعد هناك أي شيء جميل منذ أن صار بيريس جميلًا. ليس بالهين أن تفقد صديقًا مقربًا إليك، حتى لو كان هذا مدته ثلاثة أشهر ويومين فحسب.

كانت تالي يانج بلود تترقب حلول الظلام.

كان باستطاعتها أن ترى مدينة نيو برتي تاون عبر شرفتها المفتوحة، حيث الأضواء تنبعث بالفعل من أبراج الاحتفالات، وتحت أشعة الضوء المتموجة المنبعثة من المصابيح تجلت الدروب الوامضة الممتدة عبر الحدائق التي شاع فيها الابتهاج، وفي اتجاه السماء وردية اللون امتد عدد قليل من المظلات المشدودة بحبالها، التي أطلق ركابها ألعابًا نارية آمنة على المظلات الأخرى والمتزلجين الذين يبحرون بمظلاتهم. كانت أصوات الضحكات وأنغام الموسيقى تثب عبر المياه مثل الصخور التي تُلقى في المياه لتجد طريقها فيها بحركة دائرية مستقيمة، وفي ذلك كانت حواف هذه الصخور الحادة تشق طريقها بحدة تجاه أعصاب تالي وتثيرها.

لقد غلف الظلام كل ما وقع حول الضواحي التي يفصلها عن المدينة النهر الأسود بيضاوي الشكل. بحلول ذلك الوقت كان كل فرد قبيح قد خلد إلى النوم في فراشه.

نزعت تالي عنها خاتم الاتصال الذي تلبسه وقالت: «طابت ليلتكِ.»

أجابتها الغرفة: «أحلامًا سعيدة يا تالي.»

بعدها مضغت تالي حبة تنظيف الأسنان، ولكمت وسادتها، ثم دفعت بمدفأة محمولة قديمة تحت أغطية فراشها؛ لتبعث دفئًا يماثل ما قد يصدره إنسان نائم بحجم تالي.

خرجت تالي من النافذة ببطء لتجد طريقها إلى الخارج.

وبالخارج شعرت تالي على الفور أنها أفضل حالًا بعدما صار الليل حالك الظلام فوق رأسها. ربما تكون خطتها تلك خطة حمقاء، لكن أي شيء أفضل لها من قضاء ليلة أخرى مستيقظة في فراشها وهي ترثي حالها. وفي الدرب المألوف المؤدي إلى حافة النهر الذي كسته الأشجار، كان من السهل أن تتخيل بيريس وهو يتسلل في صمت خلفها كاتمًا ضحكاته، ويتأهب لقضاء ليلة يتلصص فيها على الحسان والحسناوات الجدد. سيقومان بذلك الأمر معًا. لقد اكتشفا معًا كيف يخدعان الأشخاص المسئولين عن الإشراف على المنازل عندما كانا في الثانية عشرة من عمرهما، وكانت الأشهر الثلاثة التي تفصل بين عمريهما لا تمثل أهمية.

همهمت تالي وهي تتحسس بإصبعها الندب الصغير في راحة يدها اليمنى: «سنبقى صديقين مقربين إلى الأبد.»

تلألأت المياه عبر الأشجار، وكان بإمكان تالي أن تسمع صوت ارتطام الأمواج؛ فأحنت رأسها مختبئة في عشب الخيزران. والصيف دومًا أفضل وقت لرحلات التجسس؛ لأن العشب يرتفع في ذلك الوقت، ولم يكن الطقس باردًا قط، ولم يكن على المرء أن يظل يقظًا أثناء اليوم المدرسي التالي.

بالطبع يستطيع بيريس الآن أن ينام حتى وقت متأخر من اليوم وقتما شاء، فتلك إحدى مزايا أن يصير المرء جميلًا.

هناك عبر النهر امتد الجسر القديم على نحو هائل، الذي كان هيكله الحديدي الضخم حالك السواد كالسماء التي تعلوه. وكان هذا الجسر قد بُني منذ وقت طويل للغاية بحيث يستطيع أن يتحمل ثقله دون أي دعم من عوارض. فعندما انهارت سائر أبنية المدينة قبل مليون سنة من الآن، ظل الجسر راسخًا كعظم متحجر.

على خلاف الجسور الأخرى في مدينة نيو برتي تاون، لم يستطع هذا الجسر القديم التحدث، والأهم من ذلك أنه لم يستطع أن يبلغ عن الأشخاص المعتدين. ومع أنه كان جسرًا صامتًا، فدائمًا ما بدا لتالي أنه غاية في الحكمة ويتمتع بالفطنة التي تتمتع بها شجرة عتيقة.

ولأن عيني تالي اعتادت تمامًا على الظلمة الآن، لم تستغرق سوى لحظات في العثور على خيط صنارة كان مربوطًا في الصخرة التي اعتادت ربطه بها. جذبت تالي الخيط بعنف وسمعت صوت تناثر قطرات المياه عن الحبل وهو ينبثق بسرعة من حيث كان مختبئًا بين دعامات الجسر. ظلت تسحبه حتى تحول حبل الصنارة غير المرئي إلى حبل مبتل به عقد. وكان الطرف الآخر من الحبل لا يزال مربوطًا بالهيكل الحديدي للجسر. سحبت تالي الحبل بإحكام وثبتته في الشجرة التي اعتادت أن تربطه بها.

كان عليها أن تحني رأسها مرة أخرى بين العشب؛ حيث مرت بها سفينة نهرية، ولكن لم تقع أعين الأشخاص الذين كانوا يرقصون على سطحها على الحبل الممتد من الجسر إلى الشاطئ. لم يقوموا بذلك قط؛ فالحسان والحسناوات الجدد دائمًا يستمتعون كثيرًا بوقتهم بما لا يتيح لهم ملاحظة الأشياء الصغيرة التي تقع في غير أماكنها.

وعندما أخذت أضواء المقشدة النهرية تتلاشى، اختبرت تالي قوة الحبل بالوقوف عليه بثقل جسمها كله. فذات مرة ارتخى الحبل الممتد من الشجرة، فتمايلت هي وبيريس إلى أسفل ثم إلى أعلى فوق منتصف النهر قبل أن يسقطا في المياه الباردة. ابتسمت تالي لتلك الذكرى التي لاحت لها، وهي تدرك أنه من الأفضل لها أن تكون في تلك الرحلة مبتلة للغاية في الطقس البارد بصحبة بيريس، من أن تكون جافة شاعرة بالدفء في هذه الليلة ولكنها وحيدة.

وبعد أن تعلقت تالي بالحبل وقد انقلب جسدها إلى أسفل، وقبضت بيديها وركبتيها بإحكام على العقد الممتدة بطول الحبل، جذبت نفسها إلى أعلى نحو الهيكل الأسود للجسر ثم انسلت عبر هيكله الحديدي وعبرت خلاله إلى نيو برتي تاون.

كانت تعلم أين يعيش بيريس من الرسالة الوحيدة التي كلف نفسه عناء إرسالها منذ أن صار جميلًا، ومع أن بيريس لم يخبرها بعنوانه كانت تالي تعلم طريقة فك

شفرة الأرقام التي تبدو عشوائية أسفل الرسالة، فهذه الأرقام تشير إلى قصر ما يسمى بقصر جاربو مانشون ويقع في الجزء كثير التلال من المدينة.

والوصول إلى هناك كان أمرًا صعبًا للغاية؛ ففي أثناء الرحلات التي قاما بها معًا إلى هناك، كانا دائمًا يتحركان بالقرب من ضفة النهر حيث كانت النباتات والحوائط السوداء لمدينة آجلي فيل تيسر عليهما الاختباء. لكن تالي تقصد الآن وسط الجزيرة، حيث الشوارع المضيئة التي تعج طوال الليل بالعربات ذات المنصات والأشخاص الغارقين في المتعة. وكان الحسان والحسناوات الجدد مثل بيريس يقطنون دائمًا الأماكن التي تبلغ فيها المتعة ذروتها.

كانت تالي تحفظ تفاصيل الخريطة عن ظهر قلب، لكن لو انعطفت انعطافًا خاطئًا ولو مرة واحدة، لهلكت. ودون خاتمها المستخدم في الاتصال، لا تستطيع العربات رؤيتها، وسوف تدهسها وكأنها لم تكن شيئًا.

بالطبع، لم تكن تالي شيئًا هنا.

والأسوأ من ذلك أنها قبيحة. ومع ذلك تمنت ألا ينظر بيريس للأمر على هذا النحو وألا يراها بهذه الطريقة.

لم يكن لدى تالي أدنى فكرة عما سيلم بها إن قُبض عليها. فالأمر هنا لا يضاهي معاقبتها عندما تنسى خاتم الاتصال أو تنصرف خلسة من الفصول الدراسية أو تخدع أسرتها وتعزف الموسيقى بصوت أعلى من المسموح به. فالجميع يتصرفون مثل هذه التصرفات، والجميع يُعاقبون عليها. ومع ذلك أبدت هي وبيريس دومًا الحذر الشديد كي لا يجري القبض عليهما في رحلاتهما، فعبور النهر كان مسألة خطيرة.

ومع ذلك فات أوان القلق الآن. وما عساهم أن يفعلوا بها على أي حال؟ ففي غضون ثلاثة أشهر سوف تصير هي نفسها حسناء.

زحفت تالي بطول النهر حتى وصلت إلى إحدى الحدائق التي شاع فيها الابتهاج، وانسلت إلى الظلمة تحت صف من أشجار الصفصاف الباكية. واستطاعت تحت ظلة تلك الأشجار أن تشق طريقها عبر درب تضيئه ألسنة لهب صغيرة واهنة.

وعبر هذا الدرب كان هناك اثنان من الحسان، فتجمدت تالي في مكانها، لكنهما لم يكونا على دراية بما حولهما، إذ كان كل منهما يحدق في عيني الآخر بانشغال شديد حتى إنهما لم يشعرا بها وهي تجلس في الظلام. راقبتهما تالي في صمت وهما يمران بها، وشعرت بذلك الشعور الدافئ الذي تشعر به دومًا عندما تنظر إلى وجه

جميل. وحتى عندما اعتادت هي وبيريس أن يتلصصا على الحسان والحسناوات من بين الظلال، ويقهقها على كل ما يفعله ويتفوه به هؤلاء من تفاهات، لم يستطيعا أن يقاوما الرغبة في أن يحدقا فيهم. ثمة شيء ساحر في عيونهم الواسعة التي لا تشوبها شائبة، شيء يجعلك تنتبه لأي شيء يقولونه، وأن تحميهم من أي خطر، وأن تجعلهم سعداء. إنهم غاية في ... الحسن.

اختفى هذان الاثنان عند المنعطف التالي، وهزت تالي رأسها حتى تتخلص من الأفكار العاطفية التي هيمنت عليها، فهي لم تأت إلى هنا كي تحدق ببلاهة، فهي الآن دخيلة ومتسللة وقبيحة. لقد أتت أيضًا لمهمة محددة.

كانت الحديقة منبسطة داخل المدينة، تشق طريقها ملتوية كنهر أسود عبر أبراج الاحتفالات والمنازل المضيئة. وبعد بضع دقائق أخرى قضتها تالي في الزحف، تسلل الفزع إلى نفسها لرؤيتها اثنين من الحسان مختفيين بين الأشجار (فهذه حديقة المتعة على كل حال)، بيد أنهما لم يتمكنا من رؤية وجهها في الظلام، لكنهما استهزآ بها فحسب حينما تمتمت بالاعتذار لهما، ثم انسلت بعيدًا. وهي أيضًا لم تتمكن من رؤية الكثير من ملامحهما، كل ما رأته هو أذرع وأقدام مثالية متشابكة فحسب.

أخيرًا وصلت تالي إلى نهاية الحديقة، وعلى بعد مبانٍ معدودة من هنا كان يقطن بيريس.

ومن وراء ستار من نباتات العنب المتدلية أحدقت تالي في المكان حولها. لقد وصلت إلى الحد الذي هداها إليه تخطيطها، والذي كان أبعد من أي مكان وصلت هي وبيريس إليه معًا. وما كان من طريقة تمكنها من الاختباء في الشوارع المزدحمة المضاءة إضاءة جيدة. وضعت تالي أصابعها على وجهها، وتحسست ما لها من أنف عريض وشفاه رفيعة وجبهة عالية للغاية وكتلة شعر مجعد متشابكة. فلو خطت خطوة واحدة خارج هذه الشجيرات الصغيرة فسيُفضح أمرها. بدا وجهها وكأنه يحترق عندما وقع عليه الضوء. ماذا تفعل هنا؟ كان ينبغي أن تعود إلى ظلام مدينة آجلي فيل، وتنتظر حتى يحين دورها.

ومع ذلك لا بد لها أن ترى بيريس وتتحدث إليه. لم تكن متيقنة تمامًا من السبب الكامن وراء ذلك بالضبط، فيما عدا أنها سئمت تخيل آلاف الحوارات التي تدور بينها وبين بيريس كل ليلة قبل أن تخلد إلى النوم. فقد أمضيا كل الأيام معًا منذ أن كانا صغارًا والآن ... اختفى. لعل ذهنها سيتوقف عن التحدث إلى بيريس

الخيالي إذا تمكنا من التحدث معًا دقائق معدودة فحسب. وثلاث دقائق ربما تكفي لأن تجعلها تصمد ثلاثة أشهر.

دارت تالي بعينيها أسفل الشارع وأعلاه، بحثًا عن ساحات جانبية لتتسلل عبرها خلسة، أو مداخل مظلمة لتختبئ فيها. لقد شعرت وكأنها متسلق صخور يواجه منحدرًا صخريًّا شاهقًا شديد الانحدار، ويبحث عن أي شقوق أو شيء يمسك به.

بدأت حركة المرور تهدأ قليلًا، فانتظرت وهي تفرك الذب الصغير في راحة يدها اليمنى. وفي آخر الأمر تنهدت تالي وهمست: «سنبقى صديقين مقربين إلى الأبد.» ثم خطت خطوة للأمام تحت أشعة الضوء.

دوى صوت مرتفع عن يمينها، فوثبت للخلف عائدة إلى الظلام، وتعثرت بين نباتات العنب ونزلت بشدة على ركبتيها في التربة الرخوة، متيقنة لبضع دقائق أنه قُبض عليها.

ومع ذلك جاءت الضربات الإيقاعية المتنافرة منظمة في صورة إيقاع موسيقي نابض. لقد كان هذا الصوت صادرًا عن طبلة إليكترونية تشق طريقها بخطى متثاقلة في الشارع. وكانت الطبلة، التي يماثل عرضها عرض المنزل، تومض في ظل حركة العشرات من أذرعها الآلية التي كانت تقرع طبولا بكل الأحجام. كانت تجر في أذيالها حشودًا متزايدة من المحتفلين الغارقين في المتعة الذين يتراقصون على قرع الطبول ويشربون الخمور ويلقون بزجاجاتهم الفارغة لترتطم وتتكسر في وجه هذه الآلة العملاقة الحصينة.

ابتسمت تالي؛ إذ كان هؤلاء الأشخاص يرتدون أقنعة.

لقد كانت الآلة تلقي الأقنعة للخلف في محاولة لجذب المزيد من الأتباع إلى الاستعراض الارتجالي: كانت الأقنعة لوجوه شيطانية، ومهرجين مروعين، ووحوش خضر اللون، وكائنات فضائية رمادية اللون لها أعين بيضاوية كبيرة، وقطط وكلاب وبقر، ووجوه تبتسم ابتسامات عريضة أو لها أنوف ضخمة.

مر الموكب بتؤدة، ورجعت تالي بنفسها للخلف نحو النباتات الخضراء. وعبر القليل من المحتفلين بالقرب منها جدًّا حتى إن الرائحة شديدة الحلاوة المنبعثة من زجاجاتهم ملأت أنفها. بعد دقيقة، وبعدما تحركت الآلة بجهد مسافة لا تتعدى نصف المبنى التالي، قفزت تالي وخطفت قناعًا مُلقى في الشارع. كان ملمس مادته البلاستيكية ناعمًا في يديها، ولا يزال دافئًا بعد صب شكله داخل الآلة منذ لحظات قليلة معدودة.

وقبل أن تضع القناع على وجهها، لاحظت أن له نفس لون غروب الشمس، لون قيء القطة الوردي، وله أنف طويل وأذنان صغيرتان ورديتا اللون. وعندما استقر القناع على وجهها، ظل ثابتًا عليه بفضل مادة لاصقة ذكية.

شقت تالي طريقها وسط الراقصين السكارى إلى الجانب الآخر من الموكب، وركضت عبر شارعٍ جانبي نحو جاربو مانشون مرتدية قناعًا لوجه خنزير.

الفصل الثاني

أفضل صديقين إلى الأبد

كان قصر جاربو مانشون قصرًا ضخمًا ساطعًا صاخبًا.

اتخذ هذا القصر مكانًا له بين برجين من أبراج احتفالات، فكان أشبه بإبريق شاي قصير وعريض يتوسط كأسين رفيعين. وكان كل برج من هذين البرجين يرتكز على عمود واحد لا يتجاوز عرضه عرض المصعد. وشق هذان البرجان طريقهما إلى السماء وقد احتوى كل منهما على خمسة طوابق من الشرفات المستديرة التي تكدست بالحسان والحسناوات الجدد. تسلقت تالي التل باتجاه المباني الثلاثة، وهي تحاول أن ترى المشهد عبر ثقبي العينين بالقناع.

قفز شخص ما، أو أُلقي به، من أحد البرجين، وكان يصرخ ويخفق بذراعيه، فشهقت تالي من شدة المنظر، وأرغمت نفسها على مشاهدته طوال طريقه إلى أسفل، حتى رفعته سترته المطاطية عن الأرض قبل أن يرتطم بها بثوان معدودة. وارتد ضاحكًا إلى أعلى وإلى أسفل في الهواء مرات قليلة في حزام أمان سترته، قبل أن يرسو بهدوء على الأرض على مسافة قريبة جدًّا من تالي، حتى إنها كادت تسمع فواقه الشديد وهو يبدد قهقهته. لقد كان فزعًا مثل تالي.

ارتجفت تالي، على الرغم من أن القفز لم يكن أكثر خطورة من الوقوف أسفل هذه الأبراج التي تلوح في أفق السماء. فالسترات المطاطية كانت تستخدم الرافعات كالعوارض التي تدعم البنايات الطويلة. أما لو توقفت كل الألعاب الجميلة عن العمل بطريقة ما، فإن كل شيء في مدينة نيو برتي تاون سينهار.

كان القصر مليئًا بالحسان والحسناوات الجدد، وهم أسوأ أنواع الحسان مثلما اعتاد بيريس أن يقول دائمًا. كان يعيش كل مائة فرد منهم تقريبًا في عنبر نوم كبير،

شأنهم في ذلك شأن القبحاء. لكن هذا العنبر لم يكن له أي قواعد، باستثناء: تصرف بغباء، واستمتع، وأصدر جلبة.

وكانت هناك مجموعة من الفتيات اللاتي يرتدين زي الحفلات الراقصة على السطح، يصحن بأعلى أصواتهن، ويحافظن على توازنهن على حافة السطح، ويطلقن ألعابًا نارية آمنة على الأناس بأسفل، فارتدت كرة نارية برتقالية اللون لتستقر بجوار تالي، وكانت باردة مثل ريح الخريف، وأزالت الظلمة من حولها.

صرخ أحدهم من أعلى: «انظروا! هناك خنزير بأسفل!» فضحكوا جميعًا، وأسرعت تالي خطاها نحو باب القصر المفتوح على مصراعيه، مندفعة للداخل متجاهلة نظرات الاندهاش التي رمقها بها اثنان من الحسان كانا في طريقهما للخارج.

فما دار كان حفلًا واحدًا كبيرًا، حسبما كانوا يعدون دائمًا. كان الناس يرتدون أزهى الملابس، إذ تألقت النساء بأثوابهن وتألق الرجال بالبذل السوداء ذات الذيول الطويلة. لذا بدا قناع الخنزير الكبير الذي ترتديه تالي للجميع مضحكًا للغاية. فكانوا يشيرون نحوها ويضحكون، لكن تالي واصلت سيرها دون أن تمنحهم الوقت ليفعلوا أي شيء آخر. وبالطبع، كان الجميع هنا يضحكون على الدوام، فعلى خلاف الحفل الذي يقيمه القبحاء، لم يكن هناك أي شجار أو حتى خلاف.

واندفعت من حجرة إلى أخرى، وهي تحاول أن تميز الوجوه دون أن تنشغل بهذه العيون الواسعة الجميلة، أو ترتبك بمشاعر عدم الانتماء لهؤلاء الأشخاص. كان شعور تالي بقبحها يزداد مع كل لحظة كانت تقضيها هناك، ولم تشكل الضحكات التي تلقتها من كل من يقابلها عونًا كبيرًا في هذا، لكن هذا كان أفضل مما كانوا سيفعلونه لو أنهم رأوا وجهها الحقيقي.

وتساءلت تالي عما إذا كان بمقدورها أن تميز بيريس بين كل هؤلاء؛ فهي لم تره سوى مرة واحدة منذ العملية، لدى خروجه من المشفى قبل أن يزول تورم وجهه. ومع ذلك كانت تعرف وجهه جيدًا. فعلى الرغم مما اعتاد بيريس دائمًا أن يقوله، فالحسان والحسناوات بدوا مختلفين. ففي رحلاتهما الاستكشافية التي كانا يقومان بها، كانا يشاهدان بين الفينة والفينة حسانًا وحسناوات يبدون مألوفين لهما مثل قبحاء كانا يعرفانهم. كانوا أشبه بأخ أو أخت، أخ أو أخت أكبر سنًّا، أكثر ثقة في النفس وأكثر حسنًا. وكانوا أشبه بالشخص الذي تظل غيورًا منه طوال حياتك لو كنت قد ولدت منذ مائة عام.

ولم يكن بيريس ليتغير كثيرًا.

– «هل رأيتم الخنوص؟»

– «ماذا؟»

– «هناك خنوص طليق!»

جاءت هذه الأصوات الضاحكة من الطابق السفلي، فتوقفت تالي لتنصت. كانت بمفردها تمامًا على السلم، وبدا من الواضح أن الحسان يؤثرون استخدام المصاعد.

– «كيف جرؤت على أن تقدم إلى حفلنا متنكرة في قناع خنزير صغير! هذا حفل رسمي!»

– «لقد أخطأت الحفل.»

– «إنها وقحة لأن تبدو بهذا الشكل!»

ازدردت تالي ريقها؛ فلم يكن القناع أفضل كثيرًا من وجهها. فلم يعد لشكلها تأثير مضحك.

ارتقت تالي درج السلم تاركة الأصوات وراءها؛ فربما ينسون أمرها إذا واصلت سيرها. ولم يبق أمامها سوى طابقين من قصر جاربو مانشون لتصل بعدهما إلى السطح. فلا بد أن بيريس هنا في مكان ما.

إلا إذا كان بالخارج في المرج الخلفي، أو في منطاد، أو في برج من أبراج الاحتفالات، أو في إحدى حدائق المتعة مع إحداهن. نفضت تالي عن ذهنها تلك الصورة الأخيرة وركضت عبر الردهة، متجاهلة الدعابات نفسها التي دارت عن قناعها، مجازفة بالتحديق في غرفة تلو الأخرى.

لم تجد تالي سوى نظرات اندهاش، وأصابع تومئ إليها، ووجوه حسنة، لكن لم يقرع أحدهم أي جرس إنذار. ولم يكن بيريس في أي مكان.

– «انظروا، خنوص، خنوص! انظروا، ها هي هناك!»

اندفعت تالي بسرعة نحو الطابق العلوي، حتى إنها كانت ترتقي درجتين من السلم في المرة الواحدة. وكان لهاثها الشديد يبعث بحرارة شديدة بالجزء الداخلي للقناع، فأخذت جبهتها تتصبب عرقًا، ليؤثر ذلك على ثبات المادة اللاصقة للقناع. وفي تلك الأثناء، تتتبعها مجموعة منهم، وكان أفرادها يقهقهون ويتعثر بعضهم فوق بعض على درج السلم.

لم يكن لدى تالي من الوقت ما يسمح لها بأن تبحث عن بيريس في هذا الطابق؛ فأحدقت في عجالة في كل أرجاء الردهة. لم يصعد أحد هنا على كل حال، وكانت جميع الأبواب موصدة. لعل قلة من الحسان قد خلدت إلى النوم بالفعل هنا.

وإذا صعدت إلى السطح بحثًا عن بيريس، فسيمسكون بها.

– «انظروا، خنوص، خنوص!»

لقد حان وقت الهروب؛ فاندفعت تالي بسرعة نحو المصعد، لتجد فرصة لاستراحة قليلة بداخله. وهنا أعطته الأمر بالنزول: «الدور الأرضي!»

في تلك الأثناء انتظرت تالي في المصعد وهي تحدق في الردهة بقلق، وتلهث في قناعها البلاستيكي الدافئ. كررت تالي أمر النزول: «الدور الأرضي!» «أغلق الباب!»

لم يحدث شيء.

تنهدت تالي، مغمضة عينيها؛ فدون خاتم الاتصال هي لا شيء، ولن يصغي إليها المصعد.

كانت تالي تعرف كيف تخدع المصعد، لكن هذا يستغرق بعض الوقت ويحتاج إلى سكين، وهي لا تملك أيًّا منهما. وفي تلك الأثناء، ظهر أول مطارديها على السلم يمشي باضطراب في الردهة.

ألقت تالي بنفسها للوراء في مواجهة الجدار الجانبي للمصعد، ووقفت على أطراف أصابعها وحاولت أن تشد جسمها حتى لا يستطيعون رؤيتها. حينئذ قدم المزيد منهم، وهم يلهثون ويزفرون كحسان مفتقرين إلى اللياقة والحالة البدنية الجيدة. واستطاعت تالي أن تراهم في المرآة الخلفية للمصعد.

وهو ما يعني أنه كان بمقدورهم أن يروها أيضًا لو أنهم فكروا في النظر بهذا الاتجاه.

– «أين ذهب الخنوص؟»

– «تعال إلى هنا أيها الخنوص!»

– «ربما صعد إلى السطح؟»

خطا شخص ما داخل المصعد بهدوء، وهو ينظر إلى الوراء نحو فريق البحث في دهشة. وعندما رآها، وثب وقال: «يا إلهي، لقد أفزعتني!» ثم طرف بأهداب عينيه الطويلة وهو يحدق إلى وجهها المقنع، ونظر إلى أسفل حيث الذيل الطويل لبذلته ثم قال: «يا إلهي! أليس هذا الحفل حفلًا رسميًّا؟»

انقطع نفس تالي، وجف فمها ثم همست: «بيريس؟»

فتفرس فيها وقال: «هل ...»

بدأت تقترب منه لكنها تذكرت أنه عليها أن تظل ملاصقة للجدار. وكانت عضلاتها تؤلمها من الوقوف على أطراف أصابعها. قالت: «إنه أنا يا بيريس.»

– «تعال إلى هنا أيها الخنوص الصغير!»

استدار بيريس باتجاه الصوت القادم من الردهة ورفع حاجبيه ثم نظر إليها. قال بيريس مصدرًا أمره للمصعد بسرعة: «أغلق الباب، وقف مكانك.»

أغلق المصعد بابه، وتحركت تالي للأمام. بعد ذلك نزعت قناعها كي يتسنى لها رؤيته على نحو أفضل. لقد كان بيريس نفسه: صوته، وعيناه بنيتا اللون، والطريقة التي يتجعد بها جبينه عندما يرتبك.

لكنه كان غاية في الحسن الآن.

ففي المدرسة، كانوا يشرحون لهم كيف يؤثر الحسن على المرء. ولا يهم إذا كان يعرف شيئًا عن التطور أم لا، فهكذا يكون تأثيره في كل الأحوال، وعلى كل الناس.

كان هناك شكل معين من الجمال، وهو الجمال الذي يمكن أن يراه الجميع. إنه يتجسد في العيون الواسعة، والشفاه الممتلئة مثل التي يتصف بها الطفل، والبشرة الصافية الملساء والملامح المتناسقة، وغيرها من مئات العلامات الصغيرة الأخرى. فالناس في عقولهم الباطنة دائمًا ما يبحثون عن هذه العلامات. ولا يستطيع أحد أن يمنع نفسه من النظر إليها، بغض الطرف عن الكيفية التي تحققت بها هذه العلامات. ومئات السنين من التطور جعلتها جزءًا من مخ الإنسان.

ولهذه العلامات دلالات، وكأن العيون الواسعة والشفاه الممتلئة لتتحدث إلى صاحبها قائلة: «نحن صغار السن وحساسون، ولا أستطيع أن أضرك، وأنت عليك حمايتي.» أما عن باقي العلامات، فهي تتحدث إلى صاحبها قائلة: «نحن نتمتع بالصحة، ولن نجلب لك المرض.» ولا يهم شعور المرء حيال كونه حسن المنظر، فهناك جزء منه يفكر: «إن رزقت بأطفال، قد يكونون أصحاء أيضًا. أريد هذا الشخص الحسن ...»

هذا هو علم الأحياء حسبما قالوا في المدرسة. مثلما تؤمن بحقيقة أن قلبك يخفق، لا يمكنك أن تمنع نفسك من الاعتقاد بهذه الأشياء، ليس عندما ترى وجهًا كهذا، وجهًا حسنًا.

وجهًا كوجه بيريس.

قالت تالي: «إنه أنا.»

تراجع بيريس للخلف، رافعًا حاجبيه، ثم نظر لأسفل إلى ملابسها.

فطنت تالي إلى أنها كانت ترتدي ثوبها الأسود الفضفاض الذي ترتديه عند قيامها بالرحلات الاستكشافية، والذي اتسخ بالوحل بسبب زحفها على الحبال وعبر

الحدائق وعند تعثرها بين نباتات العنب، في حين ارتدى بيريس بذلة من القطيفة ذات لون أسود داكن، أما قميصه وصدريته ورابطة عنقه فكانوا ناصعي البياض.

تراجعت تالي إلى الخلف قائلة: «آه، أنا آسفة، لن ألوثك بالوحل.»

– «ماذا تفعلين هنا، تالي؟»

لفظت تالي بسرعة: «أنا فقط ...» فالآن بعد أن أصبحت أمامه، هي لا تعرف ما الذي ستقوله له، فكل الحوارات التي كانت تتخيلها ذابت الآن في عينيه الواسعتين الجميلتين، فأردفت قائلة: «وددت أن أعرف ما إذا كنا لا نزال ...»

أمسكت تالي بيدها اليمنى، حيث راحة يدها ذات الندب الصغير، التي رسمت الأوساخ الممتزجة بالعرق خطوطًا عليها.

تنهد بيريس، ولم يكن ينظر إلى يدها أو في عينيها، عينيها الضيقتين اللتين شابهما الحول، وتلك عينا من كان يتصف بأنه لا شيء. قال بيريس: «حسنًا، لكن، أقصد، ألم تستطيعي الانتظار أيتها الحولاء؟»

بدا لقبها القبيح غريبًا عندما نطقه واحد من الحسان. وبلا ريب، سيكون من المستغرب أن تناديه بلقبه وهو صاحب الأنف الكبير مثلما اعتادت أن تناديه فيما يقرب من مائة مرة في اليوم الواحد. ازدردت ريقها وقالت: «لماذا لم تكتب إلي؟»

رد بيريس: «حاولت أن أفعل هذا، لكنني وجدت هذا زيفًا. فأنا مختلف تمام الاختلاف الآن.»

أشارت تالي إلى الندب الذي في يدها وقالت: «لكننا كنا ...»

رفع بيريس يده وقال: «تالي، انظري.»

كان جلد راحته ناعمًا لا تشوبه شائبة. وكانت يده تبدو وكأنها تقول: «ليس عليّ أن أكدح في العمل. وأنا ماهرة جدًّا بما لا يسمح بأن يصيبني مكروه.»

لقد اختفى الندب الذي شجاه معًا.

قالت تالي: «لقد أزالوه.»

رد بيريس: «بالطبع يا حولاء، فكل بشرتي جديدة.»

طرفت تالي بعينيها في تعجب، فهي لم تفكر في هذا قط.

هز بيريس رأسه: «أنتِ لا تزالين طفلة.»

سأل المصعد بيريس قائلًا: «أتريد المصعد أن يتجه إلى أعلى أم إلى أسفل؟»

وثبت تالي هلعًا من صوت المصعد.

أجابه بيريس في هدوء: «قف مكانك من فضلك.»

ازدردت تالي ريقها وقبضت كف يدها وقالت: «لكنهم لم يغيروا دمك. لقد تشاركنا هذا، بصرف النظر عن أي شيء.»

أخيرًا نظر بيريس إلى وجهها مباشرة، دون أن يهلع على نحو ما كانت تالي تخشى. ابتسم بيريس ابتسامة ساحرة وقال: «لا، لم يغيروا دمي. لقد منحوني جلدًا جديدًا، وماذا في ذلك؟ في غضون ثلاثة أشهر يمكننا أن نضحك على هذا الأمر. إلا إذا ...»

نظرت تالي إلى عينيه البنيتين الواسعتين باهتمام وقالت: «إلا إذا ماذا؟»

أجابها بيريس: «عديني فقط أنكِ لن تفعلي المزيد من الحيل الغبية، مثل المجيء إلى هنا. فهذا سوف يسبب لكِ المتاعب. أريد أن أراكِ جميلة.»

أجابته: «بالطبع.»

فرد عليها: «حسنًا، عديني بذلك.»

ومع أن بيريس يتقدم عن تالي في العمر بثلاثة أشهر فحسب، لكنها بدت كطفلة صغيرة مرة أخرى عندما نكست عينيها إلى الأرض. ردت عليه تالي: «حسنًا. أعدك، لن أتصرف بغباء. وأعدك أيضًا أنهم لن يمسكوا بي الليلة.»

رد عليها: «حسنًا، ارتدي قناعك ثم ...» بعدها تلاشى صوته.

وجهت تالي نظرها إلى المكان الذي وقع فيه القناع، لقد جرى التخلص منه، لقد أعاد القناع تدوير نفسه وتحول إلى تراب وردي اللون كانت سجادة المصعد تزيله بالفعل.

حدق الاثنان أحدهما في الآخر في صمت.

كرر المصعد سؤاله بإصرار: «أتريد أن يتجه المصعد إلى أعلى أم إلى أسفل؟»

قالت تالي: «بيريس، أعدك ألا يلحقوا بي. لا يستطيع أي فرد من الحسان أن يركض بنفس سرعتي. خذني فحسب إلى أسفل إلى ...»

هز بيريس رأسه وقال للمصعد: «إلى أعلى من فضلك، إلى السطح.»

تحرك المصعد.

قالت تالي: «بيريس، إلى أعلى؟ كيف سأستطيع ...»

رد عليها بيريس: «خارج الباب مباشرة ستجدين سترات مطاطية على رف كبير. هناك مجموعة كاملة تحسبًا لنشوب أي حرائق.»

ازدردت ريقها وقالت: «أتعني أنني سأقفز؟» اعتصرت معدة تالي خوفًا عندما توقف المصعد.

هز بيريس منكبيه بلا مبالاة وقال: «أنا أفعل هذا طوال الوقت يا حولاء.» ثم غمز بعينيه وأردف قائلًا: «سيروق لكِ الأمر.»

حينها أضفى هذا التعبير المزيد من الإشراق على وجهه الجميل، فوثبت تالي نحوه وطوقت ذارعها حوله. على الأقل، لا يزال يبدو مثلما كان، ربما أطول قليلًا وأكثر نحافة، لكنه كان دافئًا ورصينًا، ولا يزال بيريس الذي عرفته.

– «تالي!»

تعثرت تالي عندما فتحت الأبواب. لقد أوحلت كل صدريته البيضاء، فصاحت: «يا إلهي! أنا ...»

رد عليها بيريس: «اذهبي فحسب!»

وكان قلقه سيجعل تالي تفكر في احتضانه مرة أخرى. لقد أرادت أن تنتظر وتنظف ملابس بيريس حتى تطمئن إلى أنه في تمام أناقته من أجل الحفل، فمدت يدها وقالت: «أريد ...»

لكنه قاطعها: «اذهبي!»

ردت عليه: «لكننا أفضل صديقين، أليس كذلك؟»

تنهد وهو يحاول أن يزيل لطخة بنية من على صدريته ثم قال: «بالطبع، إلى الأبد. في غضون ثلاثة أشهر.»

استدارت تالي وركضت بينما أُغلقت الأبواب وراءها.

في بادئ الأمر لم يشعر أحد بوجودها على السطح، فقد كانوا جميعًا ينظرون إلى أسفل. وكان الظلام يسود السطح فيما عدا النور الساطع المؤقت الصادر عن الألعاب النارية الآمنة.

وجدت تالي رف السترات المطاطية، وشدت إحداها، لكنها كانت مثبتة في الرف بمشبك، فأخذت تتحسس بيدها المشبك بحثًا عن طرفه. وتمنت لو كان بحوزتها خاتم الاتصال الذي تستخدمه حتى تملي أوامرها.

عندئذ وقعت عيناها على زر مكتوب عليه: «اضغط في حال نشوب حريق.»

قالت تالي: «تبًّا لذلك.»

تحرك ظل تالي حركة سريعة، فكان هناك اثنان من الحسان قادمان باتجاهها يحملان ألعابًا نارية.

– «من هذه؟ وماذا ترتدي؟»

– «يا هذه! هذا الحفل حفل رسمي!»

– «انظر إلى وجهها ...»

كررت تالي قولها: «تبًّا لذلك.»

بعد ذلك ضغطت على الزر.

دوت صفارة إنذار تصم الآذان، وبدأت السترة المطاطية تندفع من الرف نحو يدها. ربطت تالي حزام الأمان، ثم استدارت نحو الشخصين اللذين كانا يتجهان ناحيتها، فانتفضا للخلف وكأن تالي قد تحولت إلى شخص مُسخ ذئبًا، ووقعت اللعبة النارية من يد أحدهما فانطفأت ذاتيًّا في الحال.

قالت تالي: «إنه تدريب على كيفية التعامل مع الحرائق.» ثم ركضت نحو حافة السطح.

وما إن وضعت السترة المطاطية حول كتفيها حتى بدا الحزام والمثبتات المنزلقة وكأنها تلتف حولها مثل الثعابين حتى أصبحت الأحزمة محكمة حول خصرها وردفيها. ومض ضوء أخضر في ياقة السترة، جذب نظرها بشدة.

قالت تالي: «سترة رائعة.»

ومن الواضح أن السترة لم تكن ذكية حتى تجيبها.

في تلك الأثناء ساد صمت بين كل الحسان والحسناوات الذين كانوا يلعبون على السطح، يجوبون المكان في فوضى، يتساءلون عما إذا كان هناك حريق بالفعل. أشاروا إليها، وسمعت تالي كلمة «قبيحة» تتردد على شفاههم.

وتساءلت تالي: أيهما أسوأ في مدينة نيو برتي تاون؟ أن تلتهم النيران قصركم أم أن تقتحم قبيحة حفلكم؟

وصلت تالي إلى حافة السطح، وقفزت على الدرابزين فاختل توازنها لحظة. وأسفلها كان الحسان والحسناوات قد بدءوا ينسلون خارج قصر جاربو مانشون إلى المرج وأسفل التل، وكانوا ينظرون إلى الوراء أعلاهم، بحثًا عن دخان أو ألسنة الحريق. وكل ما رأوه كان تالي.

كانت المسافة إلى أسفل طويلة جدًّا، وبدت تالي مرتعدة الفرائص؛ فهناك صوت إنذار يدوي في كل الأرجاء، وحشد من الجمهور يحملق إلى أعلى فيها، وأضواء مدينة نيو برتي تاون تنتشر أسفلها وكأنها ملايين الشموع.

أخذت تالي نفسًا عميقًا ثم أحنت ركبتيها استعدادًا للقفز.

وتساءلت لحظة عما إذا كانت السترة ستعمل، إذ إنها لا ترتدي خاتم الاتصال. فهل سترتد في الهواء من أجل شخص نكرة؟ أم أنها سترتطم بالأرض؟

لكنها وعدت بيريس أنه لن يُقبض عليها. والسترات المطاطية تستخدم في حالات الطوارئ، وهناك ضوء أخضر مضيء …

صرخت تالي: «احترزوا!»

وبعدها قفزت.

الفصل الثالث

شاي

أخذ صوت الإنذار يتلاشى وراءها. بدا للجميع أن تالي سقطت، وأخذت أعداد الوجوه التي فغرت أفواهها تزداد أكثر فأكثر.

وبدا الأمر كأن الأرض هي التي كانت تندفع نحوها، وأخذت الجموع المذعورة تتباعد عن المنطقة التي ستهبط فيها. لقد بدا الأمر لبضع لحظات وكأنها في حلم رائع تحلق فيه في صمت.

عندئذ وخزها الواقع في منكبيها وردفيها، عندما أطبقت شبكات السترة بشدة عليها، إذ كانت تالي أطول من الطول القياسي للحسان، وربما لم تكن السترة تتوقع مثل هذا الثقل.

انقلبت تالي في الهواء، وكان رأسها إلى أسفل طوال بضع لحظات مرعبة، ووجهها كان على مستوى منخفض للغاية مما سمح لها بأن ترى أغطية الزجاجات الملقاة بين العشب. وبعدها وجدت نفسها تتحرك إلى أعلى مرة أخرى مكملة الدائرة، ومن ثم كانت السماء تدور فوقها، ثم اتجه رأسها إلى أسفل مرة أخرى، وجموع أكثر تتشتت أمامها.

رائع. لقد انطلقت تالي بسرعة وبشدة سمحت لها بأن ترتد إلى أسفل التل بعيدًا عن قصر جاربو مانشون، وحملتها السترة باتجاه الظلام حيث الأمان في الحدائق.

انقلبت تالي تمامًا مرتين أخريين ثم أنزلتها السترة إلى العشب. شدت تالي أحزمة السترة بطريقة عشوائية فأحدثت السترة صوت هسهسة وسقطت إلى الأرض.

ولم تستغرق نوبة الدوار التي أصابتها سوى لحظة وهي تحاول أن تقف على قدميها.

سأل أحد المحتشدين: «إنها قبيحة ... أليس كذلك؟»

حينئذ حامت فوق رأسها عربتا إطفاء طائرتان تحملان اللون الأسود، ومنهما تومض الأضواء الحمراء وتدوي صفارات الإنذار التي تكاد تثقب أذنيها.

همهمت تالي: «فكرة رائعة يا بيريس. إنذار كاذب.» ستواجه تالي المتاعب حقًّا إن قبضوا عليها، إذ لم تسمع قط عن أحد قام بصنيع بهذا السوء.

ركضت تالي نحو الحديقة.

بعث الظلام تحت أشجار الصفصاف الطمأنينة في نفسها.

بالأسفل في منتصف المسافة إلى النهر لم تدرك تالي أن هناك إنذار حريق هائل في منتصف المدينة، لكنها كانت تستطيع أن ترى البحث جاريًّا، إذ كانت هناك عربات طائرة في الهواء أكثر من المعتاد، وبدا النهر أكثر توهجًا بالأضواء. ربما كان الأمر محض مصادفة.

لكن ربما لا.

شقت تالي طريقها بحذر وسط الأشجار. وكان الوقت قد تجاوز أي وقت قد أمضته من قبل هي وبيريس في مدينة نيو برتي تاون. كانت حدائق المتعة أكثر زحامًا، ولا سيما الأجزاء المظلمة منها. والآن وقد زالت الإثارة التي خلفها هروب تالي، بدأت تدرك مدى حماقة الفكرة برمتها.

بالطبع زال الندب تمامًا من راحة يد بيريس. هما لم يستخدما سوى سكين عندما جرحا أنفسهما وأمسك كل منهما بيدي الآخر، لكن الأطباء استخدموا مشارط أكبر وأكثر حدة أثناء العملية. فهم يزيلون كل ما لدى المرء من جلد، ويصنعون له جلدًا جديدًا تمامًا، رائعًا وصافيًّا. فتنمحي عنه تمامًا الآثار التي تركتها الحوادث وسوء التغذية وأمراض الطفولة. إنها بداية نظيفة.

لكن تالي أفسدت بداية بيريس، إذ بدت كطفلة صغيرة مزعجة غير مرغوب فيها، قد تركته والمذاق السيئ للقبح في فمه، ناهيك عن أنها قد أوحلته بالطين، وتمنت لو كان بحوزته صدرية أخرى يرتديها.

على الأقل لم يبد على بيريس الغضب الشديد. لقد قال إنهما سيصبحان أفضل صديقين مرة أخرى، ما إن تصير جميلة. لكن ماذا عن تلك الطريقة التي نظر بها إلى وجهها ... ربما هذا هو السبب الذي جعلهم يفصلون القبحاء عن الحسان. حتمًا من المروع أن ترى وجهًا قبيحًا في الوقت الذي يحيط بك فيه مثل أولئك الحسان طوال الوقت. ماذا لو أنها قد أفسدت كل شيء الليلة، وماذا لو أن بيريس سيراها

دائمًا هكذا — ذات عينين يشوبهما الحول وشعر مجعد — حتى بعد أن تخضع للعملية؟

حينئذ عبرت سيارة طائرة فوق رأس تالي، فأحنت رأسها إلى أسفل. على الأرجح سيُقبض عليها الليلة، وعندئذ لن تصير حسناء أبدًا.

وهي تستحق ذلك فهي حمقاء للغاية.

حينئذ ذكرت تالي نفسها بالوعد الذي قطعته لبيريس؛ فلن يُقبض عليها، وينبغي أن تصبح حسناء من أجله.

وفي تلك الأثناء ومض ضوء في زاوية رؤيتها؛ فانحنت تالي ونظرت من بين أوراق الصفصاف المتدلية.

هناك كان يوجد حارسة أمن في الحديقة، وهي من الحسناوات اللاتي مر وقت على تحولهن إلى الحسن وليست من الحسناوات الجدد. فعلى الضوء المنبعث هناك، ظهرت بوضوح ملامح الجمال التي تضفيها العملية الثانية: المنكبان العريضان والفك القوي والأنف الأفطس وعظم الوجنتين المرتفع، وكانت المرأة تتمتع بالسلطة المطلقة نفسها التي يتمتع بها مدرسو تالي في آجلي فيل.

ازدردت تالي ريقها. لقد كان للحسان الجدد حراس خاصون بهم. ولم يكن هناك سوى مبرر واحد لوجود مثل هذا النوع من الحسان في نيو برتي تاون: فهؤلاء الحراس كانوا يبحثون عن شخص ما، وهم جادون في العثور عليه.

سلطت المرأة مصباحها الضوئي لحظة على اثنين من الحسان كانا جالسين على مقعد للتحقق من أنهما حسان، فهبّ الاثنان من مكانهما، لكن الحارسة ضحكت ضحكة خافتة ثم اعتذرت لهما. سمعت تالي صوتها الخفيض المطمئن، ورأت زوج الحسان الجدد وهما يسترخيان. لا بد أن يكون كل شيء على ما يرام ما دامت قد قالت ذلك.

شعرت تالي أنها تريد أن تستسلم، وأن تضع نفسها تحت رحمة الحارسة، فإذا شرحت الأمر لها فقط، فسوف تتفهم الحارسة وتسوي كل شيء؛ فالحسان الذين مر وقت طويل على تحولهن إلى الحسن دائمًا يعرفون كيف يتصرفون.

لكنها قطعت وعدًا لبيريس.

تقهقرت تالي في الظلام، وهي تحاول أن تتجنب المشاعر الرهيبة التي تملكتها بأنها جاسوسة ومتسللة لأنها لم تخضع لسلطة المرأة، وركضت عبر الأجمة بأقصى سرعتها.

وبالقرب من النهر، سمعت تالي ضوضاء أمامها، ورأت في أضواء النهر أمامها شكل إنسان، وهذه المرة لم يكن هذا لاثنين من الحسان ولكن كان فردًا واحدًا في الظلام.

لا بدّ أنه حارس، ينتظر قدومها بين الأجمة.

لم تجرؤ تالي على أن تتنفس إلا بشق النفس. فقد تجمدت في وضع شبه زاحف، إذا كان كل ثقل جسمها يرتكز على ركبة واحدة ويد موحلة. لم يرها الحارس بعد، وإن انتظرت تالي وقتًا طويلًا بالقدر الكافي، فربما يرحل الحارس.

انتظرت تالي بلا حراك وقتًا طويلًا جدًّا. لم يتزحزح ذلك الجسم من مكانه. لا بدّ أنهم يعرفون أن الحدائق هي الطريق الوحيد المظلم المؤدي إلى نيو برتي تاون وخارجها.

بدأ ذراع تالي يرتعش، إذ بدأت العضلات تشكو من بقائها ساكنة في مكانها فترة طويلة، لكنها لم تجرؤ على أن تستند على ذراعها الآخر، فحركة غصن واحد صغير سوف تفضح أمرها.

صمدت تالي حتى كادت كل عضلاتها تصرخ من الألم. لعل أمر الحارس لا يتعدى حيلة بالضوء، ولعل الأمر برمته في مخيلتها هي فحسب.

طرفت تالي بعينيها، لعل هيئة ذلك الجسم تختفي من أمام عينيها.

لكنه لا يزال هناك محددًا بوضوح في أضواء النهر المتموجة.

حينئذ اندفع غصن صغير فجأة تحت ركبتها، فخانتها عضلاتها المتألمة في آخر الأمر، لكن الشخص «لا يزال» بلا حراك، هو حتمًا سمع ذاك الصوت …

لعل الحارس رقيق الفؤاد، وينتظرها حتى تستسلم وتسلم نفسها. أحيانًا يفعل المدرسون هذا في المدرسة؛ إذ يجعلونك تدرك أنك لا تستطيع الإفلات، حتى تعترف بكل شيء.

تنحنحت تالي وقالت بصوت خفيض ومثير للشفقة: «أنا آسفة.»

تنفست صاحبة الخيال وقالت: «آه، يا للهول، حسنًا. لا بدّ أنني أفزعتكِ أيضًا»، فمالت الفتاة إلى الأمام وعبس وجهها وكأنها أيضًا متعبة من الانتظار كل هذا الوقت. وسطع الضوء على وجهها.

لقد كانت قبيحة أيضًا.

الفتاة اسمها شاي، ذات شعر أسود طويل ومضفور، وعيناها متباعدتان جدًّا، وشفتاها مكتنزتان، لكنها كانت أكثر نحافة من الحسان الجدد. لقد جاءت إلى نيو

برتي تاون في رحلتها الاستكشافية الخاصة، وكانت مختبئة بالقرب من النهر مدة ساعة. همست شاي: «لم أر في حياتي قط أي شيء مثل هذا، ثمة الكثير من الحراس والسيارات الطائرة في كل الأرجاء!»

تنحنحت تالي وقالت: «أظن أنها غلطتي.»

ارتابت شاي وقالت: «كيف هذا؟»

أجابتها تالي: «حسنًا، لقد ذهبت إلى قلب المدينة، إلى حفل من الحفلات.»

تعجبت شاي: «هل تسللتِ إلى حفل؟ هذا جنون!» ثم خفضت صوتها ليصير همسًا مرة أخرى وأردفت قائلة: «هذا جنون لكنه مدهش أيضًا. كيف دخلتِ إلى هناك؟»

أجابتها تالي: «كنت أرتدي قناعًا»

– «حقًّا! هل هو قناع فتاة جميلة؟»

– «قناع أشبه بقناع خنزير. إنها قصة طويلة.»

طرفت شاي بعينيها وقالت: «قناع خنزير! حسنًا، دعيني أخمن، لقد نزعه أحدهم عنكِ؟»

أجابتها تالي: «لا، لقد كنت على وشك أن يقبض علي، لذا أطلقت إنذار الحرائق.»

ردت شاي: «حيلة بارعة!»

ابتسمت تالي. لقد كانت قصة مثيرة بالفعل، وأصبح لديها من تخبره بها. أردفت تالي قائلةً: «ووجدت نفسي محاصرة على السطح، لذا نزعت سترة مطاطية ثم قفزت، وقطعت نصف المسافة إلى هنا وأنا أرتد في الهواء.»

قالت شاي: «مستحيل!»

ردت تالي: «حسنًا، أقصد جزءًا من المسافة إلى هنا، أيًّا كان.»

ابتسمت شاي وقالت: «يا له من حدث مدهش.» ثم ارتسمت على وجهها أمارات الجدية. وأخذت تقضم أظافرها، وهي واحدة من العادات السيئة التي تعالجها عملية التجميل، وسألتها: «إذن، تالي، هل ذهبتِ إلى هذا الحفل ... لتقابلي شخصًا ما؟»

حان دور تالي كي تندهش، وقالت: «كيف عرفتِ بهذا الأمر؟»

تنهدت شاي وهي تنظر إلى أظافرها التي قضمتها وقالت: «لدي أصدقاء هنا أيضًا، أقصد كانوا أصدقائي، وأتلصص عليهم بين الفينة والفينة.» ثم رفعت نظرها وقالت: «أتعرفين، كنت دائمًا الأصغر سنًّا بينهم؟ والآن ...»

– «أنتِ وحيدة تمامًا.»

أومأت شاي برأسها بالإيجاب ثم قالت: «يبدو أنك كنتِ تفعلين أكثر من مجرد التلصص.»

أجابتها: «نعم، شيء أشبه بإلقاء التحية على شخص ما.»

ردت شاي: «يا إلهي، هذا جنون. هل هو حبيبك أو شيء من هذا القبيل؟»

هزت تالي رأسها بالنفي. فقد كان بيريس يواعد فتيات أخريات، وتقبلت تالي الأمر وحاولت أن تفعل مثله، غير أن صداقتهما كانت دومًا الشيء الأساسي في حياة كل منهما، لكن الأمور تغيرت الآن على ما يبدو.

أجابتها تالي: «لو كان حبيبي، ما كنت لأفعل ما فعلته الليلة على ما أظن. ما كنت لأرغب أن يرى وجهي، لكن لأننا أصدقاء، ظننت أنه ربما ...»

قالت شاي: «نعم، وكيف سار الأمر؟»

فكرت تالي لحظة وهي تنظر إلى الماء المتموج. لقد أضحى بيريس غاية في الحسن، وبدا مظهره ناضجًا، وقد قال إنهما سيصيران أصدقاء مرة أخرى، ما إن تصير تالي حسناء أيضًا ... وبعدها قالت تالي: «لقد كان سيئًا في مجمله.»

ردت شاي: «هكذا ظننت.»

فقالت تالي: «فيما عدا عملية الهروب، فقد كان الهروب مثيرًا للغاية.»

ردت شاي: «يبدو هكذا.» وشعرت تالي بسخرية في صوت شاي التي كانت تتابع حديثها: «يا لك من بارعة.»

بعدها ساد الصمت بينهما لحظة، إذ كانت هناك سيارة طائرة تحوم فوقهما.

قالت شاي: «ولكن هل تعلمين أننا لم ننج تمامًا بعد؟ عندما تعقدين العزم على إطلاق إنذار الحرائق في المرة القادمة، أعلميني قبلها بوقت كاف.»

قالت تالي: «آسفة لأنني تسببت في محاصرتك هنا.»

نظرت إليها شاي وقطبت حاجبيها ثم قالت: «لم أقصد هذا. أعني أنني ما دمت سأنفذ عملية الهروب، فدعيني أنال قسطًا من المتعة أيضًا.»

ضحكت تالي ضحكة خافتة: «حسنًا، في المرة القادمة سأُعلمكِ.»

قالت شاي وهي تمسح النهر بعينيها: «نعم أعلميني بذلك من فضلكِ.» ثم أردفت قائلة: «يبدو النهر أهدأ الآن. أين لوحكِ الخشبي؟»

ردت تالي: «ماذا؟»

أخرجت شاي لوحًا طائرًا من تحت الأجمة وقالت: «أليس لديكِ لوح؟ إذن ماذا تفعلين، أتسبحين؟»

أجابتها تالي: «لا، أنا ... انتظري. كيف حصلتِ على لوح طائر ليعبر بكِ النهر؟» فهناك حراس مسئولون عن كل شيء يطير.

ضحكت شاي: «سؤال ساذج. خلت أنكِ مُلِمة بكل شيء.»

هزت تالي منكبيها: «أنا لا أطير كثيرًا.»

أجابتها شاي: «حسنًا، سيسع هذا اللوح كلتينا.»

صاحت تالي: «انتظري!»

ظهرت عربة طائرة أخرى، وكانت تجوب النهر فوق مستوى الجسور مباشرة.

انتظرت تالي ثواني قليلة بعد مرور العربة قبل أن تقول: «لست أراها فكرة جيدة أن نعود أدراجنا بالتحليق جوًّا.»

سألتها شاي: «إذن، كيف جئت إلى هنا؟»

أجابتها تالي: «اتبعيني.» نهضت تالي بعد أن كانت جاثمة على يديها وركبتيها، وزحفت قليلًا إلى الأمام، ثم نظرت خلفها وقالت: «أيمكنكِ أن تحملي هذا الشيء؟»

أجابتها شاي: «بالطبع، فهو ليس ثقيلًا.» ثم رتبت شاي للأمر، ورفعت اللوح الطائر إلى أعلى وقالت: «في الواقع، هو لا يزن أي شيء حتى أصدر أوامري له.»

قالت تالي: «هذا مفيد.»

بدأت شاي في الزحف، وكان اللوح يرتد وراءها مثل بالون الصغار، ومع ذلك لم تر تالي أي خيط يجر اللوح. سألتها شاي: «إلى أين سنذهب؟»

أجابتها تالي: «أعرف جسرًا ما.»

ردت شاي: «لكنه سيشي بنا.»

قالت تالي: «لا، ليس هذا الجسر، فهو صديق قديم.»

الفصل الرابع

محو الذكريات

سقطت تالي للمرة الثانية.

ولم يؤلمها ذلك كثيرًا هذه المرة، ففي اللحظة التي انزلقت فيها قدماها من على اللوح الطائر، شعرت بالاسترخاء، حسبما كانت شاي تطلب منها. ولم يكن فقد السيطرة أثناء الطيران أسوأ من أن يقوم والدك بأرجحتك من معصميك وأنت صغير.

لكن ماذا إذا حدث وكان والدك رجلًا يتمتع بقوى خارقة للطبيعة وكان يحاول أن يخلع ذراعيك من مكانهما. ولكن شاي شرحت لها الأمر بأنه لا مناص من تفريغ المرء قواه في مكان ما. والحركات المستديرة أفضل من الاصطدام بشجرة. وهنا في حديقة كليوباترا، توجد مساحة وفيرة لذلك.

وبعد عدة حركات دائرية، وجدت تالي نفسها قد نزلت إلى مستوى الأعشاب بمعصميها، وكانت تشعر بدوار لكنها سليمة بدنيًّا.

أما شاي فجابت المكان ثم رست بلوحها الطائر في مكان رائع وكأنها كانت تحلق باللوح الطائر منذ نعومة أظافرها.

قالت شاي: «أعتقد أن هذا كان أفضل قليلًا.»

ردت تالي: «لا أشعر بأن ذلك أفضل على الإطلاق.» ثم نزعت أحد أساور الصدمات الموثقة باللوح وحكت معصمها. لقد كان معصمها أحمر اللون، وشعرت بوهن في أصابعها بسبب ثقل السوار.

كان السوار ثقيلًا ومتينًا حول يدها؛ فكان يجب أن تكون أساور الصدمات معدنية من الداخل، لأنها تعمل بالخاصية المغناطيسية، وبالطريقة نفسها التي تعمل بها الألواح، فكلما كانت قدما تالي تزلان عن اللوح الطائر، كانت الأساور تمسك بمعصميها مثل مارد ودود ينقذها من الخطر ويبقي عليها وهي تتدلى حتى يستقر اللوح في مكان ما.

وها هو اللوح يمسك بها من معصميها مرة أخرى.

نزعت تالي السوار الآخر وحكت معصمها.

قالت شاي: «لا تستسلمي، كدتِ تنجحين في الأمر.»

طاف لوح تالي للخلف من تلقاء ذاته محتكًا بكاحليها وكأنه كلب يمرغ أنفه. وضعت يديها على منكبيها وحكتهما وقالت: «تقصدين أنني كدت أنشطر نصفين.»

أجابتها: «هذا لا يحدث ألبته. لقد انزلقت كثيرًا على مسار قطار الملاهي أكثر مما يسقط اللبن.»

سألتها تالي: «على ماذا؟»

أجابتها شاي: «لا عليكِ. هيا، قومي بمحاولة أخرى فحسب.»

تنهدت تالي. فلم تكمن المشكلة في معصميها فحسب، فقد تألمت أيضًا ركبتاها من الهبوط العنيف منطلقة عبر المنحنيات بسرعة شديدة حتى إن جسدها بدا وكأنه يزن طنًّا. وأطلقت شاي على هذا اسم الجاذبية المرتفعة التي كانت تحدث في كل مرة يغير فيها جسمٌ سريعُ الحركة اتجاهَه.

قالت تالي: «الطيران بالألواح الطائرة يبدو ممتعًا، إذ تشعرين وكأنك طائر، لكن ممارسته شاقة فعلًا.»

هزت شاي منكبيها وقالت: «أن تكوني طائرًا يعد أمرًا شاقًّا أيضًا. فأنتِ ترفرفين بأجنحتك طوال النهار، أتفهمين ما أقصد؟»

أجابتها تالي: «هذا محتمل. هل ثمة تحسن يطرأ على ذلك؟»

استفسرت شاي: «فيما يخص الطيور؟ لا أعلم. أما فيما يخص الألواح؟ فهذا لا شك فيه.»

أجابتها تالي: «أتمنى ذلك.» ارتدت تالي أساورها ثم خطت على اللوح الطائر. تمايل اللوح قليلًا، وكأنه يتكيف مع وزنها، مثل الهزة التي تحدث للوح الغطس.

قالت شاي: «تحققي من جهاز استشعار الأمان المثبت عند معدتك.»

لمست تالي حزام الأمان حيث ثبتت شاي جهاز استشعار صغير. وكان هذا الجهاز بدوره يخبر اللوح عن مكان مركز جاذبية تالي، وأي طريق تواجهه. واستطاع هذا الجهاز أن يقيس حالة عضلات معدتها، التي اتضح أنها تلتصق بالألواح الطائرة دائمًا عند توقع المنحنيات. وكان اللوح ذكيًّا حتى إنه كان يعرف تدريجيًّا كيف تحرك جسدها. وكلما ركبت تالي عليه فترة أطول، استطاع أن يحفظ نفسه تحت قدميها.

بالطبع كان على تالي أن تتعلم أيضًا. ودأبت شاي على أن تخبرها بأنه ما لم تكن قدماها في المكان الصحيح، فلن يتسنى لأذكى لوح في العالم أن يبقيها على سطحه. وكان سطح اللوح ممتلئًا بالنتوءات ليقاوم الانزلاق، لكن ما أسهل الوقوع من عليه!

وكان اللوح بيضاوي الشكل، يبلغ طوله حوالي نصف طول تالي، أسود اللون تقطعه بقع فضية كبقع الفهد؛ الحيوان الوحيد في العالم الذي يمكنه أن يسبق اللوح الطائر. وقد كان ذلك اللوح هو أول لوح تمتلكه شاي. ولم يسبق لها أن أعادت تدويره. وحتى اليوم، اعتادت تعليقه على الجدار فوق فراشها.

طقطقت تالي أصابعها، ثم ثنت ركبتيها وهي ترتفع في الهواء، ومالت بجذعها إلى الأمام كي تزيد من سرعتها.

حلقت شاي فوقها ولكن مع الحفاظ على مكانها خلفها قليلًا.

بدأت الأشجار تتدافع نحو تالي، تجلد ذراعيها بأغصانها الصغيرة دائمة الخضرة ذات الحواف الحادة. وعلى الرغم من أن اللوح لم يدعها تصطدم بأي شيء صلب، فإنه لم يكن يأبه كثيرًا بالأغصان الصغيرة.

صاحت شاي بتوجيهاتها للمرة الألف: «ابسطي ذراعيك. أبقي على قدميك متباعدتين!» وبانفعال دفعت تالي قدمها اليسرى للأمام.

ولما وصلت تالي إلى نهاية الحديقة، مالت إلى اليمين، فوقف اللوح في منعطف طويل شديد الانحدار، ثم ثنت تالي ركبتيها وبدأت السير من حيث بدأتا.

في تلك الأثناء، اندفعت تالي نحو رايات سباق التزلج المتعرج، وهي تحني جسدها كلما زادت اقترابًا منها. وشعرت بالريح وهي تزيل رطوبة شفتيها، وترفع ضفيرتها إلى أعلى.

همست تالي: «يا للهول!»

اجتاز اللوح الراية الأولى، ومالت تالي بشدة يمينًا، وبسطت ذراعيها طوال الطريق طلبًا للتوازن.

صاحت شاي: «أبدلي الوضع!» لوت تالي جسدها إلى الجانب الآخر كي يستقر اللوح أسفلها وتجعله يمر، لتجتاز الراية التالية. وما إن عبرت، حتى لوت جسدها مرة أخرى.

لكن قدميها هذه المرة كانتا قريبتين جدًّا إحداهما من الأخرى. وانزلق حذاؤها على سطح اللوح. وبينما كانت تتشبث باللوح بأطراف أصابعها وتملأ راحتيها

بالهواء، وهي تحاول أن تفعل أي شيء كي تبقى على اللوح، صرخت: «لا!» انزلقت فردة حذائها اليمنى نحو حافة اللوح حتى ظهر ظل أطراف أصابعها على الأشجار.

الأشجار! لقد أوشك جسد تالي أن يميل ويصبح موازيًا للأرض.

بدت رايات التزلج بعيدة جدًّا وراءها، وفجأة انتهى الأمر، تدلى اللوح تحت تالي واستعادت استقامة مسارها مرة أخرى.

لقد نجحت تالي في الانعطاف!

استدارت تالي لتواجه شاي وصاحت: «لقد نجحت!»

ثم سقطت.

لقد ارتبك اللوح عندما استدارت تالي، وحاول أن ينعطف معها، فأسقطها. شعرت تالي بالارتياح وذراعاها تندفعان مفرودتين إلى الأمام والعالم يدور من حولها. وظلت تضحك بصوت عالٍ وهي تهبط وسط العشب، متدلية من أساورها.

ضحكت شاي أيضًا ثم قالت: «لقد كدت تحرزي نجاحًا.»

ردت تالي: «لا! لقد اجتزت الرايات. لقد رأيت ذلك بنفسك!»

ضحكت شاي وهي تخطو فوق العشب: «حسنًا، حسنًا، لقد نجحت. لكن لا تتراقصي هكذا مرة أخرى. هذا ليس رائعًا، أيتها الحولاء.»

أخرجت تالي لسانها من فمها. لقد أدركت تالي خلال الأسبوع الماضي أن شاي لم تستخدم كنيتها كقبيحة سوى بغرض الإهانة. وكانت شاي قد أصرت على أن ينادي كل منهما الأخرى باسمها الحقيقي معظم الوقت، الأمر الذي اعتادته تالي سريعًا. وفي الحقيقة لقد راق لها هذا الأمر، إذ لم ينادها أحد من قبل باسم «تالي» سوى سول وإيلي — والداها — وبعض المدرسين المتعجرفين.

ردت تالي: «أيًّا كان ما تقولينه، كان الأمر رائعًا.»

نزلت تالي بجسدها على العشب؛ وكان جسدها كله يؤلمها، وكل عضلاتها منهكة، وقالت: «شكرًا على الدرس، الطيران هو أفضل شيء.»

جلست شاي بالقرب منها ثم قالت: «لا أشعر بالملل عندما أطير باللوح الطائر.»

ردت تالي: «هذا أفضل ما شعرت به منذ رحيل ...» لم تنطق تالي باسمه، وشخصت ببصرها نحو السماء الزرقاء الرائعة، يا لها من سماء رائعة؛ فلم تبدأ شاي وتالي في الطيران إلا في وقت متأخر من فترة بعد الظهيرة، وفي السماء فوقهما، كانت تظهر بعض السحب العالية التي كانت تتخللها أطياف اللون الوردي مع أنه بقي بضع ساعات على مغيب الشمس.

ردت شاي: «نعم، وأنا أيضًا أشعر بالسعادة، لقد سئمت من فرط الوحدة.»

سألتها تالي: «كم تبقى لكِ من الوقت؟»

أجابتها شاي على الفور: «شهران وستة وعشرون يومًا.»

دهشت تالي لحظة وقالت: «أمتيقنة أنتِ من ذلك؟»

أجابتها شاي: «بالطبع متيقنة.»

شعرت تالي بابتسامة عريضة تداعب شفتيها بالتدريج، ثم نزلت بجسدها للوراء على العشب وهي تضحك: «حتمًا أنتِ تمزحين. سنولد جميلتين في اليوم ذاته!»

أجابتها شاي: «مستحيل.»

ردت تالي: «لا ليس مستحيلًا، هذا رائع، سنصير جميلتين معًا!»

صمتت شاي لحظة ثم قالت: «نعم، أظنه هكذا.»

قالت تالي: «في التاسع من سبتمبر/أيلول، أليس كذلك؟»

أومأت شاي برأسها إيجابًا.

قالت تالي: «هذا رائع، أقصد أنني لا أعتقد أنه بمقدوري تحمل فقد صديق آخر. ليس علينا أن نقلق بشأن أن تترك إحدانا الأخرى، يومًا واحدًا.»

استقامت شاي في جلستها، وقد اختفت ابتسامتها ثم قالت: «لن أفعل هذا بأي حال.»

طرفت تالي بعينيها وقالت: «لم أقل إنكِ ستفعلين هذا، لكن ...»

– «لكن ماذا؟»

– «لكن عندما ستصيرين جميلة، ستذهبين إلى نيو برتي تاون.»

– «وماذا في ذلك؟ أنتِ تعلمين أنه يُسمح للحسان أن يعودوا إلى هنا، أو يكتبوا لنا.»

قالت تالي متذمرة: «لكنهم لا يفعلون هذا أو ذاك.»

رفعت شاي بصرها عبر النهر ليصل إلى القمم منعمةً النظر إلى أبراج الاحتفالات، وقالت وهي تضع ظفر إبهامها بين أسنانها: «سأفعل.»

– «وأنا أيضًا يا شاي، سآتي لأراكِ.»

– «أمتيقنة أنت من ذلك؟»

– «نعم، بالطبع.»

هزت شاي كتفيها، ثم استلقت على ظهرها وهي تنعم النظر إلى السحب وقالت: «حسنًا. لكنكِ لست أول من قطع هذا الوعد كما تعلمين.»

أجابت تالي: «نعم، أعلم.»

ساد بينهما الصمت. وأخذت السحب تلف بتؤدة حول الشمس، وأصبح الجو باردًا قليلًا. فكرت تالي في بيريس، وحاولت أن تتذكر الطريقة التي كان يبادلها بها النظرات عندما كان صاحب الأنف الكبيرة، غير أنه لم يعد باستطاعتها أن تتذكر وجهه الدميم، وكأن تلك الدقائق القليلة التي شاهدته فيها بعدما صار جميلًا قد محت ذكريات عمر بأكمله. إن كل ما تستطيع أن تراه الآن هو بيريس الجميل، بتلك العينين وتلك الابتسامة.

قالت شاي: «ترى، لم لا يعودون أبدًا، ولو لزيارتنا.»

ازدردت تالي ريقها وقالت: «لأننا قبحاء، وهزلى.»

الفصل الخامس

مواجهة ما يحمله المستقبل

قالت تالي: «ها هو الخيار الثاني.» ثم لمست خاتم الاتصال الذي كانت تلبسه، فتغيرت الشاشة التي تظهر على الجدار.

كانت صورة تالي التي تظهر على الشاشة تحمل ملامح مختلفة لها وهي ملساء الشعر، ذات وجنتين مرتفعتين جدًّا، وعيون خضراء غائرة مثل عيون القطط، وفم عريض تداعبه ابتسامة متفائلة.

تعجبت شاي: «هذا مختلف تمامًا.»

قالت تالي: «نعم، وأشك أن هذا الحد من الجمال مُصرح به.» عدّلت تالي المتغيرات التي تحدد شكل العينين، وجذبت قوس الحاجبين لأسفل إلى الوضع الطبيعي تقريبًا. وعلى الرغم من أن بعض المدن تسمح بإجراء العمليات الجراحية الغريبة — للحسان الجدد فحسب — فإنه شاع عن السلطات هنا أنها محافظة. وساور تالي الشك في أن طبيبًا قد يكلف نفسه عناء إلقاء نظرة أخرى متعمقة على هذا الشكل، لكنه كان مسليًا أن تصل بالبرنامج إلى أقصى حدوده، حينئذ سألت تالي: «هل أبدو مريعة جدًّا؟»

قهقهت شاي: «لا، أنتِ تبدين مثل قطة صغيرة حقيقية، وللأسف، قد أقصد ذلك حرفيًّا وكأنها تهم بأكل فأر ميت.»

قالت تالي: «حسنًا، لننتقل إلى صورة أخرى.»

وكان نموذج تشكيل الملامح المورفولوجي اللاحق أكثر التزامًا بما هو متعارف عليه من مقاييس، فقد كانت ذات عينين لوزيتي الشكل وبنيتي اللون، وشعر أسود مستقيم يتدلى على ظهرها، وخصلات طويلة فوق جبينها، وشفاه داكنة ممتلئة إلى أقصى حد ممكن.

قالت شاي: «هذا ليس مميزًا يا تالي.»

قالت تالي: «كفى، لقد أضنيت نفسي وقتًا طويلًا لعمل هذا النموذج. أرى أنني سأبدو رائعة هكذا، فأنا أرى الملامح الكاملة لكليوباترا.»

ردت شاي: «أتعرفين، لقد قرأت أن كليوباترا الحقيقية لم تكن بهذا القدر من الجمال. لقد كانت تجذب الجميع إليها ببراعتها.»

ردت تالي: «نعم، حقًّا، وهل رأيتِ صورة لها؟»

أجابتها شاي: «لم يكن لديهم كاميرا في ذاك الوقت، أيتها الحولاء.»

ردت تالي: «هه! إذن كيف عرفتِ أنها كانت قبيحة؟»

أجابتها شاي: «لأن هذا هو ما ذكره المؤرخون في ذاك الوقت.»

هزت تالي منكبيها وقالت: «أظن أنها كانت تتمتع بجمال كلاسيكي، ولم يكونوا مدركين لذلك. لقد كانت لديهم حينذاك أفكار غريبة عن الجمال، ولم يكونوا على دراية بعلم الأحياء.»

نظرت شاي خارج النافذة وقالت: «يا لحسن حظهم.»

قالت تالي: «إذن، إن كنت ترين كل صور وجهي سيئة، لم لا ترينني أنتِ بعضًا مما لديك؟» وأزالت كل الصور التي لها على الشاشة، ثم مالت للوراء على الفراش.

أجابتها شاي: «لا أستطيع.»

– «أنت تحبين أن تنتقدي الآخرين، لكنك لا تحتملين أن ينتقدك أحد.»

– «لا، أقصد أنني لا أستطيع ذلك فحسب. فأنا لم أصنع أي صور.»

فغرت تالي فمها من الدهشة. فالجميع يصنعون نماذج مورفولوجية تشكيلية، حتى الصغار الذين لم يصلوا بعد إلى تركيب الوجه الذي يُسمح معه بإجراء تعديل له. إنه هدر للوقت أن يبحث المرء عن كل الطرق المختلفة التي يمكن أن يبدو عليها حينما يصير جميلًا.

سألت تالي صديقتها شاي: «ألم تصنعي حتى نموذجًا واحدًا؟»

أجابتها شاي: «ربما صنعت واحدًا حينما كنت صغيرة، لكنني توقفت أنا وأصدقائي عن فعل مثل هذه الأشياء منذ زمن طويل.»

استقامت تالي في جلستها وقالت: «حسنًا، يجدر بنا أن نصلح هذا الأمر الآن.»

قالت شاي: «أفضل أن أذهب للتحليق باللوح الطائر.» اهتزت شاي اهتزازات خفيفة أسفل قميصها بتلهف، واكتشفت تالي أن شاي نامت مرتدية حزام جهاز الاستشعار، محلقةً في أحلامها.

قالت تالي: «شاي، سنحلق لاحقًا. لا أصدق أنه ليس لديكِ نموذج واحد لتشكيل ملامح الوجه. من فضلك.»

– «هذا حمق. فالأطباء غالبًا ما يفعلون ما يحلو لهم، بصرف النظر عما تقولينه لهم.»

– «أعلم، لكنه أمر مسلٍ.»

أدارت شاي عينيها إشارة إلى رفضها، لكنها أومأت برأسها في النهاية. جرّت قدميها للنزول من الفراش إلى حيث كانت الشاشة العملاقة، وهي تزيح شعرها عن وجهها.

صاحت تالي: «إذن، أنت فعلتِ هذا من قبل؟»

أجابتها شاي: «عندما كنت صغيرة مثلما قلت من قبل.»

قالت تالي: «بالطبع.» ثم شغلت خاتم الاتصال الذي لبسته كي تظهر القائمة على الشاشة، ثم تلمست طريقها بين مجموعة من الاختيارات عن طرق طرف عينيها. ومضت كاميرا الشاشة بضوء ليزر، وظهرت شبكة خضراء اللون على وجه شاي، وكانت عبارة عن نطاق من المربعات شديدة الصغر التي انطبعت على عظم وجنتيها وأنفها وشفتيها وجبهتها.

وبعد بضع لحظات ظهر على الشاشة وجهان لشاي، لكن كانت هناك اختلافات واضحة: أحدهما بدا متوحشًا، وغاضبًا قليلًا، أما الآخر فله تعبيرات مختلفة اختلافًا طفيفًا، وكأنه لشخص غارق في حلم من أحلام اليقظة.

قالت تالي: «يعمل هذا البرنامج بطريقة غريبة، أليس كذلك؟ يبدو الوجهان وكأنهما لشخصين مختلفين.»

أومأت شاي برأسها وقالت: «هذا أمر مريع.»

لطالما كانت وجوه القبحاء غير متناسقة، فلم يبد أي من نصفي الوجه مثل الآخر تمامًا. لذا كان أول شيء يقوم به برنامج إعادة تشكيل الوجه هو التقاط صورة كل نصف من الوجه على حدة، ثم مضاعفته بعمل النصف المشابه له، فكان الأمر أشبه بوضع مرآة أسفل منتصف الوجه تمامًا، مما يؤدي إلى خلق نموذجين متناسقين تمام التناسق. وبالفعل بدا الشكلان المتناسقان لوجه شاي أفضل من وجهها الأصلي.

سألت تالي: «شاي، أي من الشكلين يحمل الجانب الأفضل من وجهة نظرك؟»

– «لماذا يجب أن أكون متناسقة؟ أفضل أن يكون لدي وجه ذو جانبين مختلفين.»

تنهدت تالي: «هذه علامة على تعرضك للضغط في طفولتك. لا أحد يريد أن يبدو هكذا.»

تأوهت شاي: «آه، لا أود أن أبدو هكذا.» ثم أشارت إلى الوجه الذي يبدو أكثر توحشًا واسترسلت: «حسنًا، أيًّا كان. الوجه ذو الجانب الأيمن أفضل، ألا تظنين ذلك؟»

ردت تالي: «أنا أكره جانب وجهي الأيمن، ودائمًا أبدأ بالأيسر.»

قالت شاي: «نعم، حسنًا، أنا أحب الجانب الأيمن فهو يبدو أكثر صرامة.»

أجابتها تالي: «حسنًا، أنتِ صاحبة الرأي الآن.»

طرفت تالي بعينيها لكي تصدر أمرها للبرنامج، فملأ جانب الوجه الأيمن الشاشة.

أصدرت تالي أمرها: «الأساسيات أولًا.» فتولى البرنامج الأمر: فأخذ حجم العينين يزداد بالتدريج، مما قلل بدوره حجم الأنف بينهما، وتحرك عظم وجنتي شاي إلى أعلى، وتضخم حجم شفتيها قليلًا (أوشكتا أن تصبحا مكتنزتين في حجم شفتي الحسان). واختفى كل عيب في وجهها، وصارت بشرتها صافية بلا أي عيوب. وتحركت جمجمتها ببراعة تحت ملامح وجهها، ومالت جبهتها إلى الخلف، وأصبح ذقنها أكثر بروزًا، وفكها أكثر قوة.

وعندما انتهى البرنامج من عمله، صفرت تالي ثم قالت: «واو، هذا رائع حقًّا.»

تأوهت شاي: «رائع، إنني أبدو تمامًا مثل سائر الحسناوات الجدد في العالم.»

قالت تالي: «حسنًا، بالطبع. هذه هي البداية فحسب. ماذا لو أضفنا بعض خصلات الشعر؟» طرفت تالي بعينيها عبر القوائم سريعًا، واختارت أحد أساليب تصفيف الشعر عشوائيًّا.

وعندما تغيرت الشاشة، سقطت شاي على الأرض من شدة الضحك؛ إذ كانت تصفيفة الشعر العالية التي تبدو كالبرج فوق وجهها الرفيع أشبه بالقرطاس، وكان الشعر الأشقر يتنافر تمامًا مع لون بشرتها الزيتوني.

واستطاعت تالي بالكاد أن تتحدث وهي تضحك قائلة: «حسنًا، ربما ليست هذه التصفيفة هي الاختيار الصحيح.» ثم أخذت تتنقل بين المزيد من التصفيفات، واستقر اختيارها على الشعر الأصلي الأسود القصير، وقالت: «دعينا نصل لشكل الوجه الأمثل أولًا.»

أدخلت تالي تعديلات على شكل الحاجبين، جاعلة إياهما أكثر إثارة، وزادت من استدارة الوجنتين. وكانت شاي لا تزال هزيلة حتى بعدما اقترب برنامج التشكيل في مواصفاتها من المعدل المتوسط للحجم.

وأرادت تالي أن يكون لون بشرتها قريبًا من اللون الطبيعي لبشرة الحسان، فقالت: «ربما نجعلها أفتح قليلًا.»

تساءلت شاي: «أنتِ، أيتها الحولاء، وجه من هذا؟»

أجابتها تالي: «هذا للتسلية فقط، هل تريدين أن تحتفظي بلقطة لهذا النموذج؟»

ردت شاي: «لا، أريد أن أذهب للتحليق باللوح الطائر.»

– «بالطبع سنفعل، لكن دعينا نصحح هذا أولًا.»

– «تالي، ماذا تقصدين بقول «نصحح هذا»؟ أظن أنني أرى وجهي صحيحًا بالفعل!»

أدارت تالي نظرها بعيدًا وقالت: «حقًّا، إنه رائع لفتاة قبيحة.»

تجهمت شاي وقالت: «ماذا؟ ألا تستطيعين تحمل رؤيتي؟ هل أنتِ بحاجة إلى أن تحتفظي ببعض الصور في ذهنك حتى يمكنك أن تتخيليها بدلًا من وجهي؟»

– «هيا يا شاي. إننا نفعل ذلك من أجل التسلية فحسب.»

– «أي تسلية هذه التي تجعلنا نشعر بأننا قبحاء!»

– «نحن قبحاء بالفعل!»

– «لقد صُممت هذه اللعبة بأكملها كي تجعلنا نكره أنفسنا.»

تنهدت تالي ثم ألقت بنفسها بتثاقل على الفراش وشخصت ببصرها إلى أعلى. أحيانا تصبح شاي غريبة الأطوار للغاية، فكانت تتخذ دومًا موقفًا عدائيًّا بشأن عملية التجميل، وكأن أحدهم سيجبرها أن تفعل شيئًا رغم أنفها. قالت تالي: «أنت على حق، لقد كانت الأشياء رائعة للغاية في الماضي حينما كان كل فرد قبيحًا. ولكن هل فاتكِ ذاك اليوم في المدرسة وما كانوا يرونه فيه؟»

ردت شاي وهي تستدعي من الذاكرة: «نعم، نعم، أعلم. كان الجميع يحكم بعضهم على بعض بناء على مظهرهم الخارجي. فالأناس الأكثر طولًا كانوا يحصلون على وظائف أفضل، وحتى الناس كانوا يدلون بأصواتهم لمصلحة بعض الساسة لأنهم فقط ليسوا على الدرجة نفسها من القبح مثل الباقين، وهلم جرًّا.»

هزت تالي رأسها تأييدًا لكلامها، وبصرف النظر عن عدد المرات التي كرروا فيها هذا الكلام في المدرسة، فإنها لم تصدق هذا الأمر قط، ثم قالت: «وكان الناس يقتل

بعضهم بعضًا بسبب المظهر، كأن يكون لأحدهم بشرة مختلفة اللون. إذن، ماذا لو بدا الناس أكثر تشابهًا الآن؟ فهذه هي الطريقة الوحيدة لجعل الناس سواسية.»

ردت شاي: «وماذا عن جعلهم أكثر ذكاءً؟»

ضحكت تالي: «هذا ليس من المحتمل، على كل حال، كنت أفعل ذلك فقط لأرى ما ستبدو عليه كل منا بعد ... شهرين وخمسة عشر يومًا فحسب.»

تساءلت شاي: «ألا يمكننا الانتظار حتى ذلك الحين؟»

أغمضت تالي عينيها متنهدةً وقالت: «أحيانًا أظن أنني لا أستطيع الانتظار.»

واستطردت تالي: «حسنًا، إنه الحظ العاثر.» وبعدها شعرت تالي بثقل شاي على الفراش، وشعرت بوكزة خفيفة في ذراعها. قالت شاي: «ربما يجدر بنا أيضًا أن نحقق أقصى استفادة من هذا الوقت، هل يمكننا أن نذهب للتحليق بالألواح الطائرة الآن؟ من فضلك.»

فتحت تالي عينيها ووجدت صديقتها باسمة، وقالت «حسنًا، لنذهب إلى الألواح الطائرة.» بعدها نهضت من فراشها وحدقت في الشاشة. لقد كان وجه شاي الظاهر على الشاشة وجهًا ودودًا حساسًا مفعمًا بالحيوية ... وجميلًا. قالت تالي: «ألا تظنين أنكِ جميلة؟»

لم تنظر شاي إلى الشاشة، بل هزت منكبيها فحسب وقالت: «هذه ليست أنا. إنها فكرة اللجنة المعنية بالأمر عني.»

ابتسمت تالي واحتضنتها.

قالت تالي: «مع ذلك ستصبحين هكذا. عما قريب ستكونين هكذا فعلًا.»

الفصل السادس

الوقوع في براثن الملل

قالت شاي وهما في الهواء: «أعتقد أنكِ مستعدة.» وكانت تالي قد هدأت من سرعتها في التحليق إلى أن أوقفت اللوح، منحنيةَ الركبتين وقدمها اليمنى إلى أسفل واليسرى إلى أعلى.

تساءلت تالي: «مستعدة لماذا؟»

كانت شاي تحلق في الهواء بتؤدة وراءها، تاركة نفسها للنسيم كي يحركها. لقد كانتا على أقصى ارتفاع وبُعد يمكن أن تصل إليهما الألواح الطائرة، وذلك أعلى مستوى قمم الأشجار مباشرة عند حافة المدينة. وكان من المدهش أن اعتادت تالي سريعًا التحليق عاليًا، دون الاستعانة بأي شيء يحول بينها وبين السقوط من مكان عال سوى اللوح والأساور.

كان المنظر من أعلى خلابًا؛ فكانت تنبثق من ورائهما أبراج نيو برتي تاون من وسط المدينة، التي يكتنفها حزام أخضر ورقعة من الغابات تفصل المكان الذي يعيش فيه الحسان متوسطو العمر والحسان كبار السن عن ذلك الذي يعيش فيه الحسان الجدد. أما الأجيال الأقدم من الحسان، فكانوا يعيشون في الخارج، في الضواحي، تسترهم التلال، في صفوف من منازل كبيرة تفصلها ممرات من الحدائق الخاصة كي يلهو فيها صغارهم.

ابتسمت شاي قائلة: «مستعدة لرحلة ليلية.»

وعلى مدار الأسابيع الثلاثة المنصرمة كشفت كل منهما للأخرى عن العديد من الحيل، لكنهما لم تعودا إلى نيو برتي تاون منذ الليلة التي تقابلتا فيها. قالت تالي وهي تتذكر وعدها لبيريس: «آه، انظري، لا أعرف هل كنت أريد أن أعبر النهر مرة

أخرى أم لا، بالطبع حتى يحين وقت تحولنا إلى حسان. فبعد ما حدث المرة الأخيرة، ربما صار الحراس جميعهم ...»

قاطعتها شاي: «لا أتحدث عن نيو برتي تاون، فهي مكان ممل على أي حال. سيكون علينا أن نتسلل خفية طوال الليل.»

ردت تالي: «حسنًا، أتقصدين أن نحلق حول آجلي فيل فحسب؟»

هزت شاي رأسها، وهي لا تزال تتقدم تدريجيًّا بعيدًا معتمدة على النسيم.

بدلت تالي مركز ارتكازها على اللوح بانزعاج وسألت: «ماذا يكون غير هذا؟»

وضعت شاي يديها في جيوبها وبسطت ذراعيها، محولة السترة الخاصة بعنبرها إلى شراع للطائرة. وجذبها النسيم بعيدًا جدًّا عن تالي. وعلى نحو لا إرادي، مالت تالي بأطراف أصابعها إلى الأمام حتى يستمر اللوح في الطيران.

أشارت شاي إلى الأرض المفتوحة أمامهما وقالت: «أقصد الذهاب إلى هناك.»

– «أتقصدين تلك الضواحي؟ إنها مدينة دلز فيل الكئيبة؟»

– «ليس الضواحي، ولكن ما وراءها.» حركت شاي قدميها في اتجاهين معاكسين إلى أقصى حواف اللوح. وتحركت تنورتها بفعل ريح المساء اللطيفة. وانساقت شاي نحو الحافة الخارجية للحزام الأخضر، إلى حيث المناطق المحظورة.

ثبتت تالي قدميها وخفضّت مستوى اللوح، ووقفت فجأة إلى جانب صديقتها، وقالت: «ماذا تقصدين؟ أتقصدين أن نذهب خارج المدينة تمامًا؟»

– «نعم.»

– «أجننت! لا يوجد شيء هناك.»

– «بل يوجد الكثير هناك؛ أشجار حقيقية عمرها مئات السنوات، وجبال، وأطلال. ألم يسبق لكِ الذهاب إلى هناك؟»

طرفت تالي بعينيها وقالت: «بالطبع.»

ردت شاي: «لا أقصد ذهابكِ في رحلة مدرسية، هل سبق أن ذهبتِ إلى هناك ليلًا؟»

أوقفت تالي اللوح بقوة على حين غرة. فمدينة الأطلال الصدئة هي بقايا مدينة قديمة، صرح تذكاري ضخم للماضي عندما كان هناك الكثير جدًّا من الأشخاص، وجميعهم غاية في الحمق، والقبح. أجابت تالي: «مستحيل، لا تقولي لي إنكِ ذهبت إلى هناك ليلًا.»

أومأت شاي برأسها إيجابًا.

فغر فم تالي من فرط الدهشة، وقالت: «مستحيل.»

ردت شاي: «أتظنين أنك الوحيدة التي تعرف الحيل البارعة؟»

قالت تالي: «حسنًا، ربما أصدقكِ.» وارتسمت على وجه شاي تلك النظرة التي تعلمت تالي أن تحذرها. قالت تالي: «وماذا إن اكتُشِف أمرنا؟»

ضحكت شاي وقالت: «تالي، لا يوجد شيء هناك، مثلما قلتِ الآن. ولا أحد هناك ليكتشف أمرنا.»

– «وهل تعمل الألواح الطائرة هناك؟ أو أي شيء آخر؟»

– «ألواح خاصة فقط هي التي تعمل إذا عرفت كيف تخدعينها وإلى أين توجهينها. والذهاب إلى ما وراء الضواحي أمر سهل؛ فما عليك سوى أن تحلقي بطول مجرى النهر، وهناك باتجاه أعلى النهر تكون المياه مليئة بالزبد، حيث يصعب على المركب النهري الخوض فيها.»

فغر فم تالي مجددًا، وقالت: «إذن، لقد قمتِ بهذا بالفعل من قبل.»

عصفت ريح قوية مفاجئة بسترة شاي، فزلقتها بعيدًا وهي لا تزال باسمة. وكان على تالي أن تدفع لوحها مرة أخرى حتى تظل على مرمى السمع. وفي تلك الأثناء مست قمة شجرة كاحليها، بينما أخذت الأرض تحتهما في الاقتراب منهما.

صاحت شاي: «سيكون هذا ممتعًا حقًّا.»

– «بل يبدو محفوفًا بالمخاطر.»

– «هيا، لقد أردت أن أُريك هذا منذ أن التقينا. منذ أن أخبرتني أنكِ تسللت إلى إحدى حفلات الحسان، وأطلقتِ إنذار الحرائق!»

ازدردت تالي ريقها، متمنيةً لو أنها كانت قد أخبرت شاي بالحقيقة كاملة تلك الليلة، وأن الأمر برمته كان محض مصادفة. لقد بدا أن شاي تنظر إلى تالي على أنها أكثر الأشخاص جراءة في العالم الآن، فقالت تالي: «حسنًا، ما كان هذا الإنذار إلا حادثًا عارضًا، أو شيء من هذا القبيل.»

– «نعم، بالطبع.»

– «أقصد، علينا أن ننتظر، لم يتبق على العملية سوى شهرين من الآن.»

– «آه، فعلًا، شهران ونتسمّر في مركب داخل النهر؛ جميلات يشعرن بالضجر.»

تأوهت تالي وقالت: «لا أرى الأمر مضجرًا تمامًا يا شاي.»

– «أن نفعل دائمًا ما يُفترض فعله هو أمر مضجر في حد ذاته. لا يمكنني أن أتخيل شيئًا أكثر مللًا من ألا يُطلب منكِ فعل شيء في الحياة سوى اللهو والعبث.»

قالت تالي بهدوء: «يمكنني أنا أن أتخيل هذا الشيء، وهو ألا تحصلي على أي متعة على الإطلاق.»

قالت شاي: «انصتي لي تالي. هذان الشهران هما فرصتنا الأخيرة لفعل أي شيء رائع حقًّا. هما فرصتنا الأخيرة كي نكون أنفسنا. فما إن نتحول، حتى ينتهي بنا الحال ونتدرج: حسان جدد، ثم حسان متوسطي السن، ثم حسان كبار.» وهنا أنزلت شاي ذراعيها، فتوقف اللوح عن الطيران ثم استرسلت قائلة: «ثم حسان موتى.»

ردت تالي: «أفضل من قبحاء موتى.»

هزت شاي منكبيها ثم بسطت سترتها كي تحلق في الهواء مرة أخرى. هما لم يصيرا الآن بعيدتين عن الحزام الأخضر الذي يطوق المدينة، وعما قريب ستتلقى شاي إنذارًا، وبعدها يشي بها لوحها الطائر.

جادلتها تالي قائلة: «أضيفي إلى ذلك أن الخضوع لعملية التجميل لا يعني بالضرورة أننا لن نستطيع القيام بأفعال كهذه.»

– «لكن الحسان لا يقومون بهذا مطلقًا. لا يفعلون هذا البتة يا تالي.»

تنهدت تالي، وهي تميل قدميها مرة أخرى على اللوح كي تلحق بشاي، ثم قالت: «ربما لأن لديهم أشياء يقومون بها أفضل من الخدع الصبيانية، فربما يكون الانضمام إلى حفل في المدينة أفضل من قضاء وقت وسط مجموعة من الأطلال القديمة.»

لمعت عينا شاي وقالت: «أو ربما عندما يجرون العملية؛ عندما يكسرون العظام ويزيدون من طولها حتى تصل إلى الطول الصحيح، ويقشرون وجهك وينزعون كل جلدك، ويزرعون عظم وجنتين بلاستيكيتين مما يجعلكِ تبدين مثل أي شخص آخر، ربما بعدما تجتازين كل هذا، تصبحين شخصية غير مهتمة بمثل هذه الأفعال بعد الآن.»

ارتعدت فرائص تالي، إذ لم يسبق لها أن سمعت أحدًا يصف العملية هكذا. حتى في الفصل الدراسي لمادة الأحياء، حيث خاضوا في التفاصيل، لم يبد الأمر بهذا السوء. قالت تالي: «هيا بنا، لن ندرك أن هذا يحدث. كنت حالمة طوال الوقت بأحلام جميلة.»

أجابتها شاي: «نعم، بالطبع.»

سمعت تالي صوتًا يتردد في ذهنها يقول: «إنذار، منطقة محظورة.» ومع بدء الشمس رحلة مغيبها أخذت الريح في البرودة.

قالت تالي: «هيا بنا يا شاي، دعينا نعود أدراجنا. لقد اقترب وقت العشاء.»

ابتسمت شاي وهزت رأسها ثم نزعت خاتم الاتصال الذي كانت ترتديه. والآن لن تسمع التحذيرات. قالت شاي: «دعينا نذهب الليلة. كدتِ تحلقين بالكفاءة نفسها التي أحلق بها.»

صرخت تالي: «شاي!»

أجابتها شاي: «قومي بهذا معي وسوف أريك قطار الملاهي.»

– «ما هذا؟»

تردد صوت إنذار آخر في رأس تالي يقول: «التحذير الثاني، منطقة محظورة.»

أوقفت تالي لوحها وقالت: «إن واصلتِ المسير يا شاي، سيُقبض عليكِ ولن نتمكن من فعل أي شيء الليلة.»

هزت شاي منكبيها بينما كانت الريح تسوقها بعيدًا.

قالت شاي: «أريد فقط أن أريكِ طريقتي في الاستمتاع يا تالي. وذلك قبلما نتحول إلى حسان، حينها لن نستطيع أن نستمتع إلا كيفما يحلو للجميع.»

هزت تالي رأسها، إذ كانت تريد أن تقول إن شاي قد علمتها بالفعل كيف تحلق باللوح الطائر، وهو أكثر الأشياء التي تعلمتها إثارة على الإطلاق. ففي غضون فترة لم تتجاوز الشهر، صارتا تشعران وكأنهما أفضل صديقتين. تمامًا مثلما حدث عندما التقت ببيريس وهما صغار، ولقد علما على الفور أنهما سيظلان معًا إلى الأبد.

صرخت تالي: «شاي ...»

ترجتها شاي: «من فضلك؟»

تنهدت تالي: «حسنًا.»

خفضت شاي ذراعيها ومالت بأطراف أصابعها على اللوح كي توقفه وقالت: «حقًّا؟ الليلة؟»

– «بالطبع، إلى مدينة الأطلال الصدئة.»

حثت تالي نفسها على الهدوء. فالأمر ليس بهذه الخطورة بالفعل. فلطالما انتهكت القواعد طوال الوقت، والجميع يذهبون إلى هذه الأطلال مرة واحدة سنويًّا في رحلة مدرسية. ولم تكن هناك أي مخاطر أو شيء من هذا القبيل.

تحركت شاي للوراء بعيدًا عن حافة الحزام، وأسرعت نحو تالي كي تطوقها بذراعها وقالت: «انتظري حتى تشاهدي النهر.»

– «أنتِ قلتِ إن مياهه مليئة بالزبد؟»

– «نعم.»

– «وما الزبد؟»

ابتسمت شاي وقالت: «إنها مياه لكنها أفضل كثيرًا جدًّا.»

الفصل السابع

منحدرات نهرية

«طابت ليلتك.»

هكذا قالت تالي موجهةً حديثها للغرفة.

ردت الغرفة: «نومًا هنيئًا.»

ارتدت تالي سترة وثبتت جهاز الاستشعار في حزام حول بطنها، ثم فتحت النافذة. وكان الهواء ساكنًا، والنهر هادئًا جدًّا حتى إنها كانت تستطيع أن تتبين كل تفاصيل آفاق المدينة منعكسة على مياهه. وبدا الأمر وكأن الحسان يستمتعون بحدث ما؛ فكان بإمكانها أن تسمع عبر الماء صخب جموع غفيرة عبر الماء، وآلاف الهتافات التي تدوي وتخفت معًا. وكانت أبراج الاحتفالات مظلمة تحت القمر شبه المكتمل، والألعاب النارية تبعث في السماء بأضواء تتلألأ بالدرجات المختلفة من اللون الأزرق، وترتفع عاليًا جدًّا حتى إنها كانت تنفجر في صمت.

لم تبد لها المدينة بعيدة على هذا النحو قط.

قالت تالي بهدوء: «سأراك عما قريب يا بيريس.»

كان بلاط سطح العنبر زلقًا بسبب المطر الذي انهمر في وقت متأخر من المساء. تسلقت تالي بحذر إلى زاوية عنبر النوم حيث لامست شجرة جميز عتيقة بدت فروع أغصانها صلبة ومألوفة لها، ثم هبطت تالي سريعًا في الظلام خلف إحدى آلات إعادة التدوير.

وعندما اجتازت تالي مساحة الأرض المخصصة للعنبر، نظرت وراءها. بدا نسق الظلال التي أرشدتها في طريقها من العنبر ملائمًا للغاية، يكاد يكون متشكلًا عن عمد تقريبًا؛ وكأنه كان من المفترض أن يتسلل القبحاء عبر هذه الظلال بين الفينة والفينة.

هزت تالي رأسها؛ لقد بدأت تفكر مثل شاي.

التقت تالي وشاي عند السد، حيث ينقسم النهر إلى قسمين كي يطوقا نيو برتي تاون. وفي هذه الليلة، لم يكن هناك أي مركب نهري بالخارج تعكر صفو الظلام. وكانت كانت شاي تمارس بعض الحركات بلوحها الطائر عندما اقتربت تالي منها سيرًا على الأقدام.

صاحت تالي بصوت عال عبر خرير الماء المندفع من بوابات السد: «أينبغي أن تفعلي هذا هنا في المدينة؟»

تراقصت شاي بلوحها الطائر، بتبديل تمركز ثقل جسمها للأمام وللخلف على اللوح العائم، وقالت: «كنت أتأكد فحسب أنه يعمل، فربما ساورك القلق بهذا الشأن.»

نظرت تالي إلى اللوح الخاص بها. لقد خدعت شاي جهاز فرض الأمان كي لا يشي بهما عندما تطيران ليلًا، أو تعبران الحدود إلى خارج المدينة. ولم تكن تالي لتقلق كثيرًا بشأن أن يشي بهما الجهاز بالقدر الذي يساورها القلق من ألا يطير اللوح على الإطلاق، أو يدعها تصطدم بشجرة. أما لوح شاي فكان يبدو أنه يطير جيدًا.

قالت شاي: «لقد طرت طوال الطريق إلى هنا، ولم يأت أحدهم للقبض عليّ.»

ألقت تالي بلوحها على الأرض وقالت: «أشكرك من أجل تأمين الطريق، لم أقصد أن أبدو جبانة إلى هذه الدرجة بشأن هذا.»

– «لم تكوني جبانة.»

– «أجل، لقد كنت كذلك، ويجدر بي أن أخبركِ شيئًا ما. في تلك الليلة التي التقينا فيها، وعدت صديقي بيريس أنني لن أقوم بأي مخاطر كبيرة في حالة أن أواجه مشكلة، ولقد جن جنونهم بالفعل.»

– «ومن يأبه إذا جن جنونهم؟ لقد أوشكت أن تبلغي السادسة عشرة.»

– «وماذا إذا بلغ جنونهم أن يرفضوا أن أصير جميلة؟»

توقفت شاي عن الوثب بلوحها الطائر وقالت: «لم يرد إلى مسامعي مثل هذا الأمر.»

– «أظن أنني لم أسمع به أيضًا، لكن ربما ما كانوا ليخبرونا به إن حدث. على كل حال، لقد جعلني بيريس أعده بألا أخوض أي مخاطرة.»

– «تالي، هل تعتقدين أنه ربما قال هذا حتى لا تذهبين إليه مرة أخرى؟»

– «ماذا؟»

– «ربما جعلكِ تعدينه بألا تخاطري في هذا الشأن حتى لا تزعجيه مرة أخرى، كي يجعلكِ تخشين الذهاب إلى نيو برتي تاون مرة أخرى.»

حاولت تالي أن تجيب لكن حلقها كان جافًّا.

قالت شاي: «انصتي إلي، إذا كنت لا ترغبين في المجيء، فلا بأس. أنا جادة فيما أقوله، أيتها الحولاء، لكن لن يُقبض علينا. وإن حدث، فسأتحمل أنا المسئولية.» ثم ضحكت شاي وأضافت قائلة: «سأقول لهم إنني خطفتك.»

صعدت تالي على اللوح الخاص بها ثم طقطقت أصابعها. وعندما أصبح نظرها في مستوى نظر شاي قالت: «أنا آتية معك، قلت لكِ إنني سأفعل.»

ابتسمت شاي ثم أمسكت بيد تالي لحظة وهي تضغط عليها، وقالت: «رائع، سيكون الأمر ممتعًا، ليس كمتعة أن تكوني من الحسناوات الجدد، إنها المتعة الحقيقية. ارتدي هذه.»

– «ما هذه؟ أتساعد على الرؤية الليلية؟»

– «لا. هذه نظارة واقية، سوف تحبين المياه العارمة ذات الزبد.»

وصلت تالي وشاي إلى المنحدرات النهرية بعد مرور عشر دقائق.

لقد عاشت تالي حياتها كاملة والنهر على مرأى منها. وكان هذا النهر المهيب الذي تسير مياهه ببطء سمة مميزة للمدينة؛ إذ كان يميز الحدود بين العوالم. ومع ذلك لم تدرك قط أنه بالسير عكس مجرى التيار مسافة بضعة كيلومترات قليلة من السد صار مجرى المياه الفضي المهيب وحشًا غاضبًا.

كانت مياهه المندفعة بقوة بالفعل مغطاة بالزبد. كانت ترتطم بالصخور وتشق طريقها عبر قنوات ضيقة، لتندفع إلى أعلى كرذاذ مضاء بنور القمر، تتفرق قطراته ثم تتحد لتسقط في حاويات عملاقة فوارة للمياه عند قاع الشلالات شديدة الانحدار.

كانت شاي تحلق مباشرة فوق سيل المياه على مستوى ارتفاع منخفض حتى إنها كانت تخلف أثرًا كلما مالت بلوحها إلى أحد جانبيه. وتبعتها تالي حيثما كانت تعتقد أنه ارتفاع يوفر مسافة آمنة، آملة أن يظل لوحها المخدوع عازفًا عن الاصطدام بالصخور وأغصان الأشجار المتشحة بالظلام. وكانت الغابات على كلا الجانبين بقعة خلاء مظلمة مليئة بالأشجار البرية العتيقة التي لا تشبه أشجار تنقية الهواء عن طريق امتصاص ثاني أكسيد الكربون التي تزين المدينة. وكذلك كانت السحب التي يضيئها القمر تومض من بين أغصان الأشجار وكأنها سقف من اللؤلؤ.

وفي كل مرة كانت شاي تصرخ فيها، كانت تالي تعلم أنها على وشك أن تتبع صديقتها عبر جدار من الرذاذ ينبثق إلى أعلى من الدوامات النهرية. وعلى الرغم من أن بعض جدران الرذاذ كانت تتلألأ في ضوء القمر مثل الستائر الشبكية البيضاء، كان البعض الآخر يصفعهما على حين غرة منبثقًا من الظلام. كذلك وجدت تالي أيضًا أنها تصطدم بتدفقات المياه الباردة التي يدفعها لوح شاي عندما كانت تهبط إلى أسفل أو تميل على أحد جانبيها، غير أن هذا كان ينذرها على الأقل باقترابها من منعطف.

لقد كانت الدقائق الأولى مرعبة رعبًا جمًّا، فقد أطبقت أسنانها بحدة حتى إن فكها آلمها، وثنت أطراف أصابع قدميها إلى أعلى داخل حذائها الجديد الخاص المانع للانزلاق، وبسطت ذراعيها وأصابعها بشدة حتى تحدث التوازن. واعتادت تالي تدريجيًّا على الظلمة وخرير الماء أسفلها وصفع رذاذ الماء البارد المفاجئ لوجهها. وكان التحليق هذه المرة أكثر تهورًا وسرعة وقطعًا للمسافات مما قامت به من قبل. وكان النهر يشق الغابة المظلمة، قاطعًا مسارها المتعرج إلى المجهول.

أخيرًا لوحت شاي بيديها إلى تالي وتوقفت، وانحدر الجزء الخلفي من لوحها ببطء إلى الماء؛ فقفزت تالي بلوحها كي تتحاشى الموجة الناجمة عن هبوط لوح شاي، بأن تلف لوحها في دائرة ضيقة كي توقفه بخفة.

سألت تالي: «هل وصلنا؟»

– «ليس تمامًا، لكن انظري.» ثم أشارت شاي إلى الوراء نحو الطريق الذي قدما منه.

لهثت تالي عندما نظرت إلى المشهد. لقد بدت مدينة نيو برتي تاون البعيدة كعملة ساطعة يحتضنها الظلام، وكانت الألعاب النارية المنطلقة من نيو برتي تاون بوميضها الأزرق المائل للأخضر هي مصدر الإضاءة الباهت الوحيد. إنهما حتمًا قد قطعتا مسافة طويلة للأمام؛ إذ كانت تالي تستطيع أن ترى رقعًا من ضوء القمر تتدفق ببطء عبر التلال المنخفضة التي تكتنف المدينة، وتدفعها الرياح الخفيفة التي تحركها السحب بصعوبة.

لم تكن تالي قد ذهبت قط إلى ما وراء حدود المدينة ليلًا، ولم يسبق لها أن رأتها مضاءة على هذا النحو من بعيد.

نزعت تالي عنها نظارتها الواقية التي تناثرت عليها قطرات الرذاذ، ثم أخذت نفسًا عميقًا. وكان الهواء مفعمًا بالروائح النفاذة؛ روائح نسغ النباتات دائمة الخضرة والأزهار البرية، ورائحة الطاقة الكهربائية المنبعثة من الماء المتدفق بقوة.

سألت شاي: «الأمر رائع، أليس كذلك؟»

لهثت تالي وهي تنطق: «نعم، أفضل كثيرًا من التسلل حول نيو برتي تاون.»

ابتسمت شاي ابتسامة عريضة في بهجة: «أنا مسرورة حقًّا لأنكِ ترين ذلك. كم كنت أتوق بشدة إلى المجيء إلى هنا، لكن ليس وحدي، كما تعلمين؟»

نظرت تالي إلى الغابة المحيطة بهما، محاولة أن تحدق في المساحات الفارغة المظلمة التي تتخلل الأشجار. وكان هذا المكان حقًّا مفتوحًا لكل شيء، حيث يمكن لأي كائن أن يختبئ فيه، فهو ليس مكانًا يسكنه البشر. وارتعدت فرائصها عندما خطر لها أن تصبح هناك بمفردها. سألت تالي: «إلى أين الآن؟»

– «الآن سنسير على أقدامنا.»

– «نسير؟»

اتجهت شاي بلوحها نحو الشاطئ ثم ترجلت من عليه وقالت: «نعم، هناك طبقات من الحديد الخام على بعد نصف كيلو متر بهذا الاتجاه. وفيما عدا ذلك لا يوجد شيء في هذه المسافة.»

– «عم تتحدثين؟»

– «تالي، تعمل الألواح الطائرة عن طريق الرفع المغناطيسي، أليس كذلك؟ لذا لا بد أن يكون هناك معدن ما في الجوار وإلا لن تطير.»

– «أظن ذلك، لكن في المدينة ...»

– «في المدينة، هناك شبكة قضبان فولاذية في البنية الأساسية للأرض، أينما ذهبتِ، أما هنا فينبغي أن تكوني حذرة.»

– «ماذا سيحدث إذا لم يتمكن لوحك من التحليق مرة أخرى؟»

– «سيسقط. ولن تعمل أساور الصدمات أيضًا.»

تأوهت تالي قائلة: «آه.» ثم نزلت عن لوحها ووضعته تحت أحد ذراعيها. وكانت كل عضلاتها تؤلمها من جرّاء الطيران العنيف هنا. فمن الجيد أن يعيش المرء على أرض يابسة صلبة، وعلى نحو مطمئن بدت الصخور متماسكة تحت قدميها المرتعشتين، على خلاف الطيران.

ومع ذلك بعد مرور بضع دقائق على بدء السير على الأقدام ازداد اللوح ثقلًا. وفي الوقت الذي خفت فيه صوت الضوضاء الشديد الصادر عن النهر إلى خرير خافت خلفاه وراءهما، شعرت تالي وكأن اللوح الطائر مثل لوح من خشب البلوط تحمله تحت ذراعها.

قالت تالي: «لم أكن أعرف أن هذه الأشياء ثقيلة كل هذا الثقل.»

– «أجل. هكذا يصبح وزن اللوح عندما لا يكون في مجال العمل. وهنا بالخارج، تكتشفين كيف تعميكِ المدينة عن الطرق الحقيقية التي تعمل بها الأشياء.»

في تلك الأثناء، كانت السماء آخذة في الاكفهرار، وبدا البرد أكثر شدة في الظلام. رفعت تالي اللوح إلى أعلى حتى تتمكن من إحكام قبضتها عليه، متسائلة هل السماء ستمطر. وكانت تالي مبتلة بالفعل من الطيران فوق المنحدرات النهرية. قالت تالي: «يبدو أنني خُدعت بشأن بعض الأشياء.»

وبعد التسلق فترة طويلة عبر الصخور قطعت شاي الصمت قائلة: «هذا هو الطريق، ثمة طبقات طبيعية من الحديد الخام تحت الأرض. يمكنكِ أن تشعري بها في أساور الصدمات للوحك.»

أمسكت تالي بإحدى يديها وقطبت وجهها، مبدية عدم اقتناعها بما تقوله شاي، لكنها شعرت بعد دقيقة واحدة بجذب خفيف في سوارها، وكأن شبحًا يسحبها إلى الأمام. أخذ وزن لوحها يخف من جديد، وعلى الفور قفزت هي وشاي على متن لوحيهما مرة أخرى، محلقتين عاليًا فوق سلسلة من الجبال، ولأسفل في واد مظلم.

وبينما كانت تالي على متن اللوح، وجدت متنفسًا وتمكنت من أن تسأل سؤالًا كان يؤرقها: «إن كانت الألواح الطائرة تحتاج إلى معدن كي تعمل، كيف تعمل فوق النهر إذن؟»

– «عن طريق فصل الذهب.»

– «ماذا؟»

– «تخرج الأنهار من ينابيع ترد من باطن الجبال، وتجلب المياه معها معادن من باطن الأرض، من ثم هناك دائمًا معادن في قاع الأنهار.»

– «صحيح. مثلما اعتاد الناس أن يفصلوا المعادن حتى يتسنى لهم الحصول على الذهب؟»

– «أجل، تمامًا. لكن الألواح تفضل الحديد في الواقع. ليس كل ما يلمع يساعد على الطيران.»

عبس وجه تالي؛ فأحيانًا كانت شاي تتحدث بشيء من الغموض، وكأنها كانت تستشهد بكلمات أغنية لفرقة موسيقية لا يستمع إليها أي فرد آخر سواها.

همّت تالي بأن تسأل سؤالًا، لكن شاي وقفت وقفة مفاجئة وأشارت إلى أسفل.

لقد كانت السحب تنقشع، وضوء القمر يمر خلالها حتى يتهاوى على أرض الوادي. وقد برزت الأبراج الضخمة ملقية بظلالها المتعرجة، وكانت أشكالها التي من صنع الإنسان واضحة مقابل قمم الأشجار الواضحة التي تتراقص مع الريح.

إنها مدينة الأطلال الصدئة.

الفصل الثامن

مدينة الأطلال الصدئة

من واجهات المباني العملاقة طل عليهما في سكون عدد من النوافذ الخالية، فلقد مر وقت طويل على تحطم زجاجها وتلف أخشابها، ولم يتبق سوى الأطر المعدنية، والملاط، والأحجار المفتتة وسط نباتات غزت المكان. وحينما نظرت تالي إلى أسفل نحو مداخل المنازل المظلمة الخالية، اقشعر جلدها من فكرة الهبوط والنظر في أحدها.

تحركت الصديقتان فيما بين البنايات الخربة، وهما تحلقان بلوحيهما على مستوى مرتفع في سكون وكأنهما لا تريدان أن تزعجا أشباح المدينة البائدة. أسفلهما كانت الشوارع تعج بالسيارات المحترقة المتكدسة والمحشورة بين الجدران البارزة. وبغض النظر عما دمر هذه المدينة فقد حاول الناس أن يفروا منه. وتذكرت تالي من رحلتها المدرسية الأخيرة إلى هذه الأطلال أن سياراتهم لم تستطع أن تطير، فما كان لها سوى أن تسير على عجلات مطاطية. لقد علق سكان العصر القديم بهذه الشوارع، كسرب من الفئران وقع أسيرًا لمتاهة مشتعلة النيران.

نادت تالي صديقتها شاي بصوت خافت: «شاي، أواثقة أنتِ تمام الثقة من أن لوحينا لن يتوقفا عن العمل على حين غرة؟»

– «لا تقلقي، من بنى هذه المدينة، أيًّا كان هو، كان يحب أن يبدد المعادن. فلم يطلق عليها اسم راستي رونز (الأطلال الصدئة)، لأن شخصًا يدعى راستي قد اكتشفها.»

وكان على تالي أن توافقها على هذا الرد، ففي كل بناية أعمدة معدنية تنبثق من جدرانها المنهارة، كالعظام الناتئة من رفات حيوان مات منذ زمن سحيق. وتذكرت أن سكان العصر القديم لم يستخدموا الروافد، فكل المباني منخفضة الارتفاع بدائية وضخمة تحتاج إلى هيكل حديدي ليحفظها من الانهيار.

بعضها كان ضخمًا للغاية، إذ لم يبن سكان العصر القديم مصانعهم تحت الأرض، وكانوا يعملون معًا كالنحل المتضافر في خلية النحل وليس في المنزل. وكان أقل الأطلال حجمًا هنا يفوق في حجمه أكبر العنابر في آجلي فيل، بل حتى أكبر من قصر جاربو مانشون.

ولما كانت تالي تنظر إلى الأطلال الآن ليلًا، بدت في ناظريها حقيقية بقدر أكبر. ففي رحلاتها المدرسية، لطالما كان المدرسون يصورون سكان العصر القديم كأناس غاية في الحمق. فالمرء لا يستطيع أن يصدق أن أناسًا عاشوا بمثل هذه الطريقة؛ فقد كانوا يحرقون الأشجار ليخلوا مساحة من الأرض، ويحرقون البترول للحصول على الحرارة والطاقة، ويشعلون النيران في الهواء بأسلحتهم. لكن في ضوء القمر استطاعت أن تتخيل الناس وهم يتدافعون عبر العربات المتقدة للهروب من المدينة المنهارة، مذعورين أثناء هروبهم من كومة من المعادن والحجارة التي من المتعذر الدفاع عنها.

حينئذ جاء صوت شاي ليخرج تالي من حلم اليقظة الذي عاشته: «هيا، أود أن أريك شيئًا ما.»

حلقت شاي إلى حافة البنايات ثم إلى أعلى الأشجار.

قالت تالي: «هل أنتِ متيقنة من أننا يمكننا ...»

– «انظري إلى أسفل.»

رأت تالي أسفلها معدنًا يومض عبر الأشجار.

قالت شاي: «ثمة الكثير وراء الرقعة التي يزعمون أنها كل الأطلال. هم فقط يحتفظون بهذا الجزء من المدينة من أجل الرحلات المدرسية وزيارة الآثار، لكنها تمتد إلى ما وراء مرمى البصر.»

– «وذات كميات كبيرة من المعدن أيضًا؟»

– «أجل. هناك أطنان منه. لا تقلقي، لقد حلقت في كل أنحاء المكان.»

ازدردت تالي ريقها، وهي تنظر بعينيها بحذر بحثًا عن علامات الخراب أسفلها، ومبتهجة لأن شاي كانت تتحرك بمعدل سرعة هادئ بطيء.

بزغ شكل من الغابة، عبارة عن قمة جبل طويلة ترتفع وتنخفض في بروزها وكأنها موجة متجمدة، وصار بعيدًا عنهما محتفظًا بمكانه في الظلام.

قالت شاي: «ها هو.»

سألتها تالي: «حسنًا، لكن ما هذا؟»

– «هذا يُدعى قطار الملاهي. أتذكرين، لقد قلت لكِ إنني سأريكِ إياه.»

– «إنه جميل، لكن ما الغرض منه؟»

– «المتعة.»

– «غير ممكن.»

– «بل ممكن. على ما يبدو، كان سكان العصر القديم يحظون بقدر من المتعة. إنه يشبه مسارًا حديديًّا، يثبتون به عربات ثم يطلقونها بأقصى سرعة ممكنة، إلى أعلى وإلى أسفل وبحركات دائرية، مثل الألواح الطائرة لكن دون طيران حر في الهواء. وصنعوها من نوع من الفولاذ لا يصدأ مطلقًا؛ من أجل السلامة على ما أظن.»

عبس وجه تالي؛ إذ كانت الصورة الوحيدة بمخيلتها عن سكان العصر القديم هي لأناس يعملون في خلايا حجرية عملاقة ويناضلون من أجل الفرار في ذلك اليوم الأخير المريع، لا أناس يستمتعون بأوقاتهم.

قالت شاي: «لنفعلها، لنطير في قطار الملاهي.»

– «كيف؟»

أجابتها: «على لوحك.» ثم استدارت شاي نحو تالي وقالت بجدية: «لكن عليكِ أن تسرعي. فسيكون الأمر خطيرًا إذا لم تتحركي.»

– «لماذا؟»

– «سترين.»

استدارت شاي بعيدًا وأسرعت إلى أسفل تجاه قطار الملاهي لتحلق فوق المسار الحديدي مباشرة. تنهدت تالي ثم مالت بصعوبة وراءها. على الأقل هذا الشيء مصنوع من المعدن.

لقد اتضح أيضًا أن رحلة الطيران عليه رائعة للغاية. لقد كان الأمر أشبه بمسار مجسم للوح الطائر في الهواء، يكتمل بمنعطفات منحدرة محكمة، ويضم منزلقات حادة يعقبها منخفضات طويلة، بل حتى حلقات دائرية جعلت جسم تالي ينقلب رأسًا على عقب، مما كان يدفع أساور الصدمات للعمل لتحفظ تالي على اللوح. وما أجمل الشكل الذي كان يأخذه هذا المسار. فقطعًا بنى سكان الأطلال القديمة هذا المسار من شيء مميز حسبما ذكرت شاي.

كان المسار يصل إلى ارتفاعات أعلى من تلك التي يمكن أن يصل إليها اللوح الطائر بمفرده. فالتحليق باللوح الطائر على مسار قطار الملاهي كان أشبه بأن تكون طائرًا حقيقيًّا.

وهو يلتف في شكل قوس واسع بطيء يدور للخلف نحو النقطة التي بدأتا عندها في التحليق. ويبدأ الجزء الأخير منه بمنحدر صاعد ضخم.

وعندما تقدمت شاي على تالي صاحت من فوق كتفها: «أسرعي في هذا الجزء.»

تبعتها تالي بأقصى سرعتها، صاعدة كالصاروخ إلى أعلى المسار الطويل. وكانت تستطيع أن ترى الأطلال على مرمى بصرها، كقمم سوداء محطمة تقع في مقابل الأشجار، وخلفها وميض لضوء القمر. كان هذا مرتفعًا حقًّا!

وعندما وصلت إلى أعلى المسار سمعت صرخة مبتهجة. وعندئذ اختفت شاي، فمالت تالي إلى الأمام كي تزيد من سرعتها.

فجأة، سقط اللوح من تحتها. لقد سقط بسهولة بعيدًا عن قدميها، تاركًا إياها تطير في الهواء، واختفى مسار القطار من تحتها.

أطبقت تالي قبضة يديها، في انتظار أن تقوم أساور الصدمات بعملها وتجذبها لأعلى من رسغيها، غير أنها صارت عديمة الفائدة مثل اللوح، فأصبحت شرائحَ فولاذية ثقيلة فقط تجذبها نحو الأرض. صرخت تالي وهي تتهاوى نحو الظلمة حالكة السواد: «شاي!»

بعد ذلك رأت تالي إطار قطار الملاهي أمامها. كل ما هنالك هو أن قطعة صغيرة كانت مفقودة من الإطار.

وعلى حين غرة، جذبتها أساور الصدمات إلى أعلى، وشعرت بصلابة سطح اللوح الطائر وهو يقترب إلى أعلى أسفل قدميها. وحملتها قوتها الدافعة إلى الجانب الآخر من الفجوة! حتمًا كان اللوح يطير أسفل قدميها مباشرة أثناء ثواني السقوط الحر المرعبة.

ووجدت تالي نفسها تنطلق بسرعة ثابتة إلى أسفل المسار حيث كانت شاي في انتظارها، فصرخت فيها: «أنتِ مجنونة!»

فردت شاي: «هذا مثير للغاية، أليس كذلك؟»

صرخت تالي: «لا، لماذا لم تخبريني أنه مكسور؟»

هزت شاي منكبيها: «هكذا يكون الأمر أكثر إثارة، أليس كذلك؟»

ردت تالي: «أكثر إثارة؟» وكان قلبها يخفق بسرعة، وعيناها تتمتعان برؤية واضحة على نحو غير معتاد. كان يملؤها الغضب والراحة ... والفرح، ثم أردفت قائلة: «حسنًا، إلى حد ما. لكنكِ تصرفت بدناءة!»

نزلت تالي عن اللوح، وسارت عبر العشب بأقدام مرتخية، ووجدت صخرة مكسورة كبيرة يمكنها أن تجلس عليها، فجلست عليها وهي ترتعش.

قفزت شاي عن لوحها وقالت: «أنا آسفة.»

– «كان هذا مريعًا يا شاي، لقد كنت أسقط.»

– «ليس مدة طويلة، خمس ثوان تقريبًا. أعتقد أنك قلتِ إنك قفزت من مبنى بسترة مطاطية.»

حدقت تالي في شاي ثم قالت: «أجل، لقد فعلت، لكنني كنت أعلم أنني لن أرتطم بالأرض.»

– «أصبتِ، لكن أتعلمين أنه في المرة الأولى التي أراني فيها أحدهم قطار الملاهي، لم يخبرني بشأن الفجوة، واعتقدت أنه كان مثيرًا للغاية أن أكتشف الأمر بهذه الطريقة. فالمرة الأولى هي أفضل مرة تستمتعين فيها بفعل الشيء. وأردتكِ أن تشعرين بذلك أيضًا.»

– «أكنت تعتقدين أن السقوط أمر مثير؟»

– «حسنًا، ربما شعرت بالغضب إلى حد ما في بادئ الأمر. نعم، قطعًا شعرت بالغضب.» ثم ابتسمت شاي ابتسامة عريضة واسترسلت قائلة: «لكنني تغلبت على الأمر.»

– «أمهليني قليلًا من الوقت لهذا الأمر، أيتها العجفاء.»

– «على رسلك.»

بدأت أنفاس تالي تهدأ، ورويدًا رويدًا رجعت نبضات قلبها إلى معدلها الطبيعي بعد أن كاد قلبها يشق ضلوعها، لكن ظل ذهنها صافيًا حسبما كان أثناء لحظات سقوطها الحر، ووجدت نفسها تتساءل عمن عثر على قطار الملاهي أولًا، وعن عدد القبحاء الذين أتوا إليه هنا منذ ذلك الحين. سألت تالي صديقتها شاي: «شاي، من أراك كل هذا؟»

– «بعض الأصدقاء الذين يكبرونني سنًّا. هم قبحاء مثلنا، كانوا يحاولون أن يكتشفوا كيف يعمل هذا الشيء وكيف يتحايلون عليه.»

رفعت تالي ناظريها لمسار قطار الملاهي القديم لولبي الشكل، ونباتات الكرمة الزاحفة ببطء على إطاره وقالت: «ترى، منذ متى يأتي القبحاء إلى هنا!»

– «منذ وقت طويل على الأرجح. فالأشخاص يتناقلون الإنجازات؛ مثلما تعلمين، يكتشف أحدهم كيف يخدع الألواح، ثم يكتشف التالي المنحدرات النهرية، ثم ينجح التالي في شق طريقه إلى الأطلال.»

ازدردت تالي ريقها وقالت: «ثم يتحلى شخص بالشجاعة الكافية لأن يقفز عبر الفجوة في مسار قطار الملاهي، أو ربما يقفز عبرها مصادفةً.»

أومأت شاي برأسها وقالت: «لكن جميعهم صاروا حسانًا في آخر المطاف.»

قالت تالي: «نهاية سعيدة.»

هزت شاي منكبيها.

أردفت تالي متسائلة: «على كل حال، كيف عرفتِ أنه يُدعى «قطار الملاهي»؟ هل بحثتِ عنه في مكان ما؟»

– «لا، لقد أخبرني أحدهم بذلك.»

– «لكن، كيف عرف؟»

– «هذا الشخص يعرف الكثير من الأشياء. يعرف الخدع، ويعرف أشياء عن الأطلال. إنه شخص رائع حقًّا.»

وثمة شيء ما في صوت شاي جعل تالي تلتفت وتمسك بيدها، ثم قالت: «لكن أظن أنه صار من الحسان الآن.»

تراجعت شاي بعيدًا عنها وأخذت تقضم ظفرها وقالت: «لا، لم يصر كذلك.»

– «لكنني ظننت أن كل أصدقائك ...»

– «تالي، هل يمكنك أن تعديني بشيء ما؟ وعدًا حقيقيًّا.»

– «بالطبع، حسب ظني، أي وعد هذا؟»

– «تعديننني بأنكِ لن تخبري أحدًا أبدًا بما سأريكِ إياه الآن.»

– «لا يتضمن هذا الوعد السقوط الطليق، أليس كذلك؟»

– «بلى.»

رفعت تالي يدها ذات الندب الذي شجته هي وبيريس معًا وقالت: «حسنًا. أقسم لكِ بأنني لن أخبر أي شخص البتة.»

نظرت شاي في عينيها لحظة وهي تبحث بإمعان عن شيء ما، ثم أومأت برأسها وقالت: «حسنًا، هناك شخص ما أود أن ألقاه الليلة.»

– «الليلة؟ لكننا لن نعود إلى المدينة حتى ...»

ابتسمت شاي: «هو ليس بالمدينة، إنه هنا.»

الفصل التاسع

في انتظار ديفيد

«أنتِ تمزحين، أليس كذلك؟»

لم تجبها شاي. وكانتا قد عادتا إلى قلب الأطلال، لتقفا تحت ظل أعلى بناية في الجوار. حدقت شاي في البناية وعلى وجهها أمارات الحيرة. قالت شاي: «أظنني أتذكر طريقة فعل هذا.»

– «فعل ماذا؟»

– «الصعود إلى هناك. ها هي البناية.»

تحركت شاي بلوحها إلى الأمام بحذر، ثم انحنت لتمر عبر إحدى الفتحات في الجدار المنهار.

– «شاي؟»

– «لا تقلقي. لقد فعلت هذا من قبل.»

– «شاي، أظنني تعلمت ما يكفي الليلة.» ولم تكن تالي في الحالة المزاجية التي تسمح لها بتحمل المزيد من مزاح شاي. لقد كانت منهكة، وطريق الرجوع إلى المدينة طويل، وعلى عاتقها تقع مسئولية تنظيف عنبرها في اليوم التالي. وليس من المفترض أن تنام طوال النهار بحجة أننا في وقت الصيف.

لكن تبعت تالي صديقتها شاي عبر الفتحة، فالجدال بشأن هذا الأمر قد يستغرق وقتًا طويلًا.

استقامت كلتاهما في الهواء، إذ استعان اللوحان بالهيكل المعدني للبناية في التحليق عاليًا. وكان وجودهما بداخل تلك البناية أمرًا مروعًا عند النظر عبر النوافذ الخالية إلى أشكال البنايات الأخرى الخربة، وكأنهما شبحان من مدينة الأطلال يشاهدان مدينتهما وهي تنهار عبر القرون.

ولأنه لم يكن هناك سقف يعلو البناية، رمقتا منظرًا خلابًا؛ فكل السحب اختفت، ووقع ضوء القمر على الأطلال فأبرزها بوضوح، وبدت البنايات مثل صفوف من الأسنان المهشمة. وكذلك رأت تالي أن ما قد لمحته وهي تتسلق مسار قطار الملاهي كان المحيط بالفعل. فهناك من أعلى البناية، كانت المياه تتلألأ تحت ضوء القمر كحزمة من الأشعة الفضية الواهنة.

أخرجت شاي شيئًا ما من حقيبة كتفها ثم شطرته نصفين.

فتوهج المكان حولهما فجأة.

صرخت تالي وهي تغطي عينيها: «ستعمينني، هيا افعلي.»

– «أنا آسفة.» أمسكت شاي بالشعلة الآمنة ذات الشرارات مبعدة إياها بذراعها حتى مسافة آمنة. وكانت تصدر أصوات طقطقة شديدة وسط سكون الأطلال، وتلقي بظلال متقطعة عبر الجزء الداخلي للبناية الخربة. وبدا وجه شاي وحشيًّا وسط الوهج، وكان الشرر يتساقط إلى أسفل متلاشيًا في أعماق المبنى المتهدم.

وفي آخر الأمر، خبت الشعلة. وطرفت تالي بعينيها في محاولة لإبعاد وميض الشرارة عن عينيها. وانعدمت تمامًا قدرتها على الرؤية ليلًا، ولم تستطع أن ترى أي شيء سوى القمر في السماء.

ازدردت تالي ريقها، إذ فطنت إلى أنه يمكن رؤية الشعلة من أي مكان في الوادي، بل ربما يصل ذلك إلى البحر. قالت تالي: «شاي، هل كانت هذه إشارة ضوئية؟»

– «أجل، هي هكذا.»

نظرت تالي إلى أسفل، فكانت البنايات المظلمة أسفلها تعج بومضات ضوء وهمية متقطعة، وأطياف لوميض الشعلة التي اشتعلت أمام عينيها. وفجأة لما أدركت تالي جديًّا عدم قدرتها على الرؤية، شعرت بقطرة عرق باردة تزحف على عمودها الفقري. قالت تالي متسائلة: «على أي حال، من سنقابل الآن؟»

– «شخص اسمه ديفيد.»

– «ديفيد؟ يا له من اسم غريب.» لقد بدا الاسم لتالي وكأنه اسم مختلق، لذا استنتجت مرة أخرى أن الأمر برمته ليس إلا مزحة. أردفت تالي قائلة: «إذن، هو سيحضر إلى هنا؟ هذا الشاب لا يعيش حقًّا في الأطلال، أليس كذلك؟»

– «بلى، إنه يعيش بعيدًا جدًّا عن هنا، لكنه ربما يكون بالقرب من هنا؛ فهو يأتي إلى هنا بين الفينة والفينة.»

– «أتقصدين أنه من مدينة أخرى؟»

نظرت شاي إليها لكن تالي لم تستطع أن تقرأ تعبيرات وجهها في الظلام. ردت شاي: «شيء من هذا القبيل.»

حولت شاي نظرها إلى أفق السماء، كمن تبحث عن إشارة ردًّا على الإشارة التي بعثت بها. تدثرت تالي بمعطفها؛ ولأنها ظلت ساكنة بلا حراك، بدأت تدرك كم كان الجو قارس البرودة. وكانت تتساءل إلى أي حد بلغا وقتًا متأخرًا من الليل، لكن دون خاتم الاتصال لا يتسنى لها حتى أن تسأل عن ذلك.

ولما كان القمر شبه المكتمل يتوارى في السماء، أدركت تالي أن الوقت قد تجاوز قطعًا منتصف الليل، على نحو ما تذكرت تالي من دروس علم الفلك. وتلك فائدة عادت عليها من كونها خارج المدينة، وهي أن كل المواد الخاصة بالطبيعة التي درستها في المدرسة بدت أكثر فائدة. لقد تذكرت الآن كيف أن مياه الأمطار تتساقط على الجبال، وتمتصها التربة قبل أن تكّون فقاعات ممتلئة بالمعادن، ثم تشق طريقها عائدة إلى البحر مرة أخرى حيث تشق أنهارًا وأودية ضيقة في الأرض على مدار القرون. لو أنك كنت تعيش هنا، لاستطعت أن تركب اللوح الطائر عبر الأنهار، مثلما كان الحال في الأيام الخوالي قبل سكان العصر القديم، عندما كان الأناس آنذاك ينتقلون بقوارب صغيرة مصنوعة من الأشجار.

بدأت تالي تستعيد قدرتها على الرؤية ليلًا بالتدريج، فمسحت أفق السماء بعينيها. هل يُعقل أن تأتي إشارة ضوئية أخرى بالفعل ردًّا على إشارة شاي؟ أملت تالي ألا تأتي هذه الإشارة، إذ لم يسبق لها أن التقت بأي إنسان من مدينة أخرى. لقد علمت في المدرسة أن بعض المدن أناسها ينطقون بلغات أخرى، أو لا يصيرون حسانًا إلا عندما يبلغون الثامنة عشرة من عمرهم، وأمورًا أخرى غريبة مثل هذه الأمور. قالت تالي: «شاي، ربما يجدر بنا أن نعود أدراجنا.»

– «دعينا ننتظر قليلًا.»

عضت تالي شفتيها وقالت: «ربما ديفيد هذا ليس موجودًا بالجوار الليلة.»

– «أجل، جائز، من المحتمل. لكنني كنت أأمل أن يكون هنا.» ثم التفتت شاي تجاه تالي وقالت: «سيكون لطيفًا حقًّا إن التقيتِ به. إنه شخص ... مختلف.»

– «يبدو الأمر هكذا.»

– «أنا لا أختلق هذا الأمر، مثلما تعلمين.»

– قالت تالي: «أنا أصدقكِ.» على الرغم من أن تالي لم تكن متيقنة تمام اليقين من أي شيء يتعلق بشاي.

عادت شاي بنظرها إلى أفق السماء، وهي تمضغ ما قضمته من أحد أظافرها وقالت: «حسنًا، أظنه ليس في الجوار. يمكننا الرحيل إذا رغبت في ذلك.»

– «كل ما هنالك أننا تأخرنا حقًّا، وطريق العودة طويل. وأنا المسئولة عن التنظيف غدًا.»

أومأت شاي برأسها وقالت: «وأنا أيضًا.»

– «شاي، أشكرك لأنكِ أريتني كل هذا. لقد كان كله مذهلًا حقًّا، لكنني أعتقد أن أي شيء مثير آخر سيقضي عليّ.»

ضحكت شاي وقالت: «لم يقض قطار الملاهي عليكِ.»

– «أوشك على ذلك فحسب.»

– «ألم تسامحيني بعد؟»

– «سأخبرك بذلك عندما أفعل أيتها العجفاء.»

ضحكت شاي وقالت: «حسنًا، لكن تذكري ألا تخبري أحدًا بشأن ديفيد.»

– «لقد وعدتكِ، يمكنكِ أن تثقي بي حقًّا.»

– «حسنًا، أنا أثق بكِ.» وبعدها أحنت شاي ركبتيها فأخذ لوحها في الهبوط.

ألقت تالي نظرة أخيرة حولهما شملت الأطلال المنبسطة تحتهما، والغابات المظلمة، والمجرى النهري المتلألئ الممتد ناحية البحر المتوهج بالضوء، وتساءلت عما إذا كان هناك بالخارج أي أشخاص حقًّا، أو عما إذا كان ديفيد قصة فقط اختلقها القبحاء لإخافة بعضهم بعضًا.

لكن شاي لم تبد خائفة، وبدت محبطة إحباطًا جمًّا عندما لم يستجب أحدهم لإشارتها، وكأنها تؤثر مقابلة ديفيد على تباهيها بمعرفتها بالمنحدرات النهرية والأطلال وقطار الملاهي.

وسواء أكان ديفيد حقيقة أم لا رأت تالي أنه حقيقي في نظر شاي.

رحلت تالي وشاي من الفتحة التي تخللت الجدار ثم حلقتا باتجاه ضواحي الأطلال، وتبعتا طبقات الحديد الخام إلى أعلى للخروج من الوادي. وعند قمة الجبل، أخذ اللوحان يتمتمان بتذمر، فنزلتا عنهما. ومع أن تالي كانت منهكة القوى، فإن حملها للوح لم يبد أمرًا مستحيلًا هذه المرة. لقد توقفت عن التفكير فيه على أنه لعبة مثل بالون الأطفال. لقد أصبح اللوح الطائر شيئًا أكثر صلابة، شيئًا يطيع أوامر نفسه، وهو الشيء الذي يمكن أن يمثل خطرًا أيضًا.

واكتشفت تالي أن شاي كانت على حق بشأن أمر واحد، ألا وهو أن البقاء في المدينة طوال الوقت جعل كل شيء مزيفًا قليلًا. على نحو مماثل للمباني والجسور المقامة على روافد، أو القفز من قمة سطح باستخدام سترات مطاطية، لم يكن ثمة شيء حقيقي، وكانت تشعر بالجذل لأن شاي أخذتها إلى الأطلال. وإن لم تجن تالي أي استفادة أخرى، فالدرس الوحيد المستفاد هو أن الفوضى التي خلفها سكان العصر القديم أثبتت أن الأمور قد تسوء بشدة ما لم يتسم الإنسان بالحذر.

وبالقرب من النهر خف وزن اللوحين، فوثبت كلتاهما عليهما بامتنان.

باتخاذ وضعيهما على اللوحين تأوهت شاي وقالت: «لا أعرف رأيك، لكنني لا أنوي القيام بأي شيء آخر الليلة.»

– «بالتأكيد.»

مالت شاي إلى الأمام وسارت بلوحها بحذر على النهر، ثم تدثرت بسترة عنبرها حول منكبيها لتحميها من رذاذ المنحدرات. واستدارت تالي إلى الوراء لتلقي نظرة أخيرة على المدينة. ومع اختفاء السحاب، استطاعت أن ترى الأطلال من مكانها.

طرفت تالي بعينيها، فرأت أكثر الومضات الضوئية وضوحًا آتية من حيث قبع قطار الملاهي. ربما كانت خداعًا بصريًّا فقط، انعكاسًا لضوء القمر على قطعة معدنية عارية لم يمسسها الصدأ، قالت تالي بهدوء: «شاي،»

صاحت شاي بصوت أعلى من خرير الماء: «هل ستأتين أم لا؟»

طرفت تالي بعينيها مرة أخرى، لكنها لم تستطع أن ترى الومضة الضوئية مرة أخرى. على أي حال، لقد ابتعدتا جدًّا، وإذا ذكرت الأمر لشاي، فسيجعلها تضطرب وترغب في العودة مرة أخرى. ولن تستطيع تالي بأي حال من الأحوال أن تقوم بهذه النزهة ثانية.

وربما لم يكن هناك أساس لأي شيء.

أخذت تالي نفسًا عميقًا وقالت: «هيا أيتها العجفاء، سأسابقك!» وبعدها حثت تالي لوحها على زيادة سرعته عبر النهر مجتازةً الرذاذ البارد تاركة وراءها لحظةً شاي التي انفجرت في الضحك.

الفصل العاشر

العراك

«انظري إليهم جميعًا. يا لهم من حمقى.»

– «هل سبق لنا أن بدونا مثلهم؟»

– «ربما. لكن إن كنا حمقى من قبل، فذلك لا يعني أنهم غير حمقى الآن.»

أومأت تالي برأسها وحاولت أن تتذكر كيف كان حالها عندما بلغت الثانية عشرة من عمرها، وكيف بدا لها عنبرها في يومها الأول به. وتذكرت كم بدا لها المبنى مريعًا. لقد كان بالطبع أكبر بكثير من منزل سول وإيلي، وأكبر من الأكواخ التي يذهب إليها الصغار لتلقي التعليم، الذي كان فيه كل مدرس يتولى مسئولية تعليم عشرة تلاميذ.

الآن بدا لها كيف كان عنبر النوم آنذاك صغيرًا للغاية ومثيرًا لرهاب الأماكن المغلقة أو الضيقة. كان يبدو طفوليًّا على نحو مزعج بألوانه الزاهية وسلاله المبطنة. وكان يثير في نفسها الملل الشديد طوال النهار، ومن السهل التسلل منه ليلًا.

الآن هي ترى القبحاء الجدد وهم يتحركون على مقربة شديدة بعضهم من بعض في مجموعات متراصة خوفًا من أن يضلوا بعيدًا عن مرشدهم. كانت وجوههم الصغيرة القبيحة تحدق إلى أعلى في أرجاء عنبر النوم الذي تكون من أربعة طوابق، وقد امتلأت عيونهم بالحيرة والفزع.

أعادت شاي رأسها إلى الوراء عبر النافذة وقالت: «سيكون هذا مسليًا للغاية.»

ردت تالي: «لن ينسوا ما حيوا رحلة التوجيه هذه.»

لقد كان الصيف على وشك الانتهاء، وكان عدد الأفراد الذين التحقوا بعنبر تالي يغادرونه باطراد خلال العام الماضي حينما يبلغون سن السادسة عشرة، ليكونوا الأرشد. وقد حان الوقت الآن لتحل محلهم دفعة جديدة. شاهدت تالي الزمرة الأخيرة قليلة العدد من القبحاء وهم يشقون طريقهم إلى الداخل وقد اعترتهم حالة من

انعدام اللباقة والتوتر والبدائية والفوضى. وبلا ريب، كان بلوغ سن الثانية عشرة من العمر نقطة تحول في حياة كل واحد منهم، إذ يتحول من قبيح جذاب إلى قبيح كبير الحجم ضعيف التحصيل في تعليمه.

كانت تالي سعيدة بتخطيها تلك المرحلة من حياتها.

قالت شاي متسائلة: «هل أنتِ متيقنة من أن الأمر سيفلح؟»

ابتسمت تالي؛ إذ لم يكن من عادة شاي أن تتسم بالحيطة. أشارت تالي إلى ياقة السترة المطاطية وقالت: «أترين هذا الضوء الأخضر الصغير؟ هذا يعني أنها قيد العمل، إنها تُستخدم في حالات الطوارئ، من ثم هي دائمًا جاهزة للعمل.»

مدت شاي يدها تحت السترة كي تجذب جهاز الاستشعار الذي ترتديه، وهو ما يعني أنها كانت متوترة وقالت: «ماذا لو عرفت السترة أن ليس هناك حالة طوارئ حقيقية؟»

– «إنها ليست بهذا القدر من الذكاء: كل ما هنالك أنها تلتقطك حينما تسقطين. ولا حاجة للقيام بأي خدع.»

هزت شاي منكبيها ثم ارتدت السترة.

كانت تالي وشاي قد استعارتا السترتين من مدرسة الفنون، وهي أطول بناية في آجلي فيل، حيث كان هناك مخزون احتياطي من السترات موضوع في الطابق الأرضي من البناية، ولم يكن عليهما حتى أن تخدعا الرف الموضوعة عليه كي تحررا السترين منه. وقطعًا لم تكن تالي تريد أن يُقبض عليها وهي تعبث بإنذارات الحرائق، تحسبًا لأن ينسب إليها الحراس الحادثة التي وقعت منذ وقت قليل في نيو برتي تاون في بداية فصل الصيف.

ارتدت شاي قميصًا صوفيًّا فضفاضًا محكمًا فوق سترتها المطاطية. وكان للقميص نفس لون عنبرها، وكذلك لم يعرف أحد من المدرسين هنا وجهها جيدًا. سألت شاي صديقتها تالي: «كيف أبدو؟»

– «يبدو أن وزنك قد زاد، إنه يناسبكِ.»

عبس وجه شاي؛ لقد كانت تكره أن ينعتها أحدهم باسم «حشرة عصوية» أو «الفتاة ذات عيني الخنزير» أو بأي من الأسماء الأخرى التي ينادي بها القبحاء بعضهم بعضًا. وكانت تزعم بين الفينة والفينة أنها لا تكترث مطلقًا بإجراء عملية التجميل والتحول لحسناء. بالطبع كان هذا هراء. وعلى الرغم من أن شاي لم تكن غريبة الخلقة، فمن الصعب أن تبدو جميلة بالفطرة. ومع ذلك لم يكن هناك أناس

حسان بالفطرة سوى ما يقرب من عشرة أفراد عبر كل حقب التاريخ. قالت شاي: «أتريدين أن تبادري بالقفز أيتها الحولاء؟»

– «لقد فعلت الأمرين يا شاي؛ ذهبت إلى هناك وفعلت هذا، حتى قبل أن ألتقي بكِ. وأنتِ صاحبة هذه الفكرة المذهلة.»

تحول تجهم شاي إلى ابتسامة وقالت: «إنها فكرة مذهلة، أليست كذلك؟»

– «لن يعرفوا أبدًا من ضربهم.»

انتظرت تالي وشاي حتى صار كل القبحاء الجدد في المكتبة، متفرقين حول طاولات العمل لمشاهدة فيديو حول التوجيهات. واستلقت تالي وشاي على بطنيهما في الطابق العلوي المكون من الرفوف التي رصت عليها الكتب الورقية القديمة التي تعلوها الأتربة، وظلتا تحدقان إلى أسفل نحو مجموعة القبحاء عبر الدرابزين. وانتظرتا حتى يُهدئ قائد الجولة الضجة التي أحدثها القبحاء الثرثارون.

قالت شاي وهي ترسم زوجًا من الحواجب السوداء العريضة فوق حاجبيها: «يكاد الأمر يكون غاية في السهولة.»

– «غاية في السهولة لكِ، فسوف تكونين خارج الباب قبل أن يعرف أي شخص ما الذي حدث. أما أنا فعليّ أن أنزل درج السلم بأكمله.»

– «وماذا في ذلك يا تالي؟ ماذا عساهم أن يفعلوا بنا إذا أمسكوا بنا؟»

هزت تالي منكبيها وقالت: «أنتِ على حق.» لكنها ارتدت على كل حال شعرها المستعار ذا اللون البني الفاتح.

على مدار فصل الصيف، حينما بلغت آخر مجموعة قليلة من الراشدين سن السادسة عشرة وصاروا حسانًا، ازدادت الحيل سوءًا أكثر فأكثر، لكن لم يبد أن أحدهم قد عُوقب مطلقًا. لقد بدا الوعد الذي قطعته تالي لبيريس وكأنه منذ زمن سحيق، وحالما تصير جميلة، فلن يكون لأي شيء فعلته خلال شهرها الأخير في العنبر أي أهمية. لقد كانت تالي قلقة من أن تترك كل هذا وراءها، دون خاتمة متميزة.

وبينما شغل بيريس تفكيرها، لصقت تالي أنفًا بلاستيكيًّا كبيرًا على وجهها. وكانت تالي وشاي قد أغارتا الليلة الماضية على حجرة التمثيل الملحقة بعنبر شاي وأخذتا كل ما طالته أيديهما من أدوات تنكر. سألت تالي: «هل أنت مستعدة؟» ثم أخذت تضحك على صوت الخنة الذي أضفاه الأنف المستعار على صوتها.

ردت شاي: «انتظري قليلًا»، ثم سحبت كتابًا ضخمًا كبيرًا من الرف وقالت: «حسنًا، حان وقت العرض.»

نهضت تالي وشاي معًا.

صرخت تالي في وجه شاي وقالت: «أعطني هذا الكتاب! إنه كتابي!»

شعرت تالي بالصمت الذي ساد بين القبحاء أسفلهما، وكان عليها أن تقاوم رغبتها في النظر إلى أسفل لترى وجوه القبحاء الملتفتة إلى أعلى تجاه الصوت.

ردت شاي: «مستحيل، يا صاحبة أنف الخنزير! لقد أخذته أولًا.»

– «أتمزحين أيتها السمينة؟ أنت حتى لا تجيدين القراءة!»

– «حقًّا؟ حسنًا، اقرئي هذه!»

صوبت شاي الكتاب ناحية تالي التي أحنت رأسها لتفاديه. وأمسكت تالي بالكتاب ثم التفتت للخلف قابضة بقوة على ساعدي شاي المرفوعين، فارتدت شاي للوراء على أثر القبضة لتتدحرج فوق الدرابزين.

مالت تالي إلى الأمام فاغرة العينين لتشاهد شاي وهي تسقط إلى أسفل نحو الطابق الرئيسي بالمكتبة لتتدحرج على درج ثلاثة طوابق إلى أسفل. صرخ القبحاء الجدد في صوت واحد متفرقين بعيدًا عن الجسم الذي هبط ناحيتهم على حين غرة.

ولم تنقض سوى ثانية واحدة، بعدها قامت السترة المطاطية بعملها، فقفزت شاي إلى أعلى في الهواء، منفجرة في الضحك ضحكًا هستيريًّا بأعلى صوتها. انتظرت تالي لحظة أخرى، وهي تشاهد فزع القبحاء الذي تحول إلى حيرة، إذ ارتدت شاي مرة أخرى، ثم عدلت وضعها على إحدى الطاولات لتتجه بعد ذلك إلى الباب.

ألقت تالي بالكتاب على الأرض ثم اندفعت بسرعة على السلالم، قافزة إلى أعلى في الهواء في كل مرة حتى وصلت إلى الباب الخلفي للعنبر.

– «لقد كان أمرًا رائعًا!»

– «هل رأيت وجوههم؟»

قالت شاي: «في الواقع لا، لقد كنت منهمكة في مشاهدة الأرضية التي تقترب مني.»

– «أجل، أتذكر هذا الأمر حينما قفزت من السطح. هذا يسترعي الانتباه حقًّا.»

– «بما أننا نتحدث عن الوجوه، لقد راقت لي الأنف.»

ضحكت تالي، وهي تنزع الأنف عنها وقالت: «أجل، لا معنى لأن تصبحي أقبح من المعتاد.»

عبس وجه شاي، ومسحت أحد حاجبيها ثم نظرت إلى تالي بحدة وقالت: «أنتِ لست قبيحة.»

– «أنتِ تعرفين أن ما تقولينه غير صحيح يا شاي.»

– «لا، أنا أعني ما أقول.» ثم مدت يدها ناحية تالي ولمست أنفها الحقيقية وقالت: «لك صورة جانبية رائعة.»

قالت تالي: «لا تكوني غريبة الأطوار يا شاي، أنا قبيحة وأنتِ قبيحة. وسنظل قبحاء مدة أسبوعين آخرين. وليست هذه المدة بالشأن الكبير.» ثم ضحكت واسترسلت قائلة: «أنتِ على سبيل المثال، لديك حاجب كبير وآخر صغير.»

شردت شاي بنظرها بعيدًا وهي تزيل باقي الأدوات التنكرية في سكون.

وفي تلك الأثناء كانت تالي وشاي مختبئتين في غرف تغيير الملابس الموجودة إلى جانب الشاطئ الرملي، حيث تركتا خاتمي الاتصال ومجموعة ملابس إضافية، بحيث إذا استجوبهما أي شخص، فستقولان إنهما كانتا تسبحان طوال الوقت. لقد كانت السباحة خدعة بارعة، فهي تخفي درجة حرارة الجسم، وتتيح لهما تغيير الملابس، وكذلك كانت عذرًا مثاليًّا لعدم ارتداء خاتم الاتصال. فالنهر يمحو كل الجرائم.

بعد دقيقة قفزتا في الماء، لتغرقا أدوات التنكر في الماء. أما السترة المطاطية فكانتا ستُرجعانها إلى الطابق الأرضي بمدرسة الفنون في تلك الليلة.

وما إن أصبحتا على سطح الماء قالت شاي: «أنا جادة يا تالي، أنفكِ ليست قبيحة، وأنا معجبة أيضًا بعينيك.»

– «عيناي؟ لقد جن جنونك تمامًا؛ فهما قريبتان جدًّا إحداهما من الأخرى.»

– «من قال هذا؟»

– «علم الأحياء.»

ألقت شاي حفنة من الماء على وجه تالي وقالت: «أنتِ لا تعتقدين في كل هذا الهراء، ولا تعتقدين أن ثمة طريقة واحدة للنظر إلى الأشياء، والجميع مبرمجون لأن يتفقوا عليها، أليس كذلك؟»

– «الأمر لا يتعلق بالاعتقاد يا شاي، كما تعلمين. لقد رأيت كيف يبدو الحسان. إنهم يبدون … بمظهر جميل.»

– «جميعهم متشابهون.»

– «لطالما كنت أعتقد ذلك أيضًا. لكن عندما كنا نذهب أنا وبيريس إلى المدينة، كنا نرى الكثير منهم، وأدركنا أن الحسان يبدون مختلفين. هم يبدون على ما هم

عليه، كل ما هنالك أن ثمة الكثير من الاختلافات الطفيفة للغاية بينهم، لأنهم ليسوا جميعًا غريبي الخلقة.»

– «نحن لسنا غريبي الخلقة يا تالي، نحن طبيعيون. قد لا نكون فائقي الجمال، لكننا على الأقل لسنا عرائس باربي المشهورة.»

– «ما هذه العرائس؟»

شردت شاي بنظرها بعيدًا وقالت: «إنها عرائس أخبرني عنها ديفيد.»

– «رائع، ديفيد مجددًا.» اندفعت تالي بعيدًا عنها ثم سبحت على سطح الماء على ظهرها، شاخصة بنظرها إلى السماء، متمنية أن ينتهي هذا الحديث. فلقد ذهبتا إلى الأطلال خارج المدينة مرات معدودة أخرى، وكل مرة كانت شاي تصر على إطلاق إشارة ضوئية، لكن ديفيد لم يتراءى لهما قط. فالأمر برمته كان يسبب لتالي الرعب والتوتر، إذ كانت تنتظر في المدينة الخربة مجيء شخص يبدو أنه لا وجود له. لقد كان رائعًا لها اكتشاف المكان بالخارج هناك، لكن هوس شاي بديفيد بدأ يثير غضبها.

قالت شاي: «إنه حقيقي، لقد التقيت به أكثر من مرة.»

– «حسنًا يا شاي. ديفيد حقيقة مثله مثل القبح، فلا يمكنك أن تغيري هذه الحقيقة بالتمني فقط، أو بإخبار نفسك بأنك جميلة، ولهذا السبب اخترعوا عملية التجميل.»

– «لكنها خدعة يا تالي، أنتِ لم تري سوى وجوه جميلة طوال حياتك؛ لم تري سوى والديك، ومدرسيك، وكل من تجاوزوا السادسة عشرة من عمرهم، لكنكِ لم تأتي إلى هذا العالم تتوقعين هذا النوع من الجمال في الجميع طوال الوقت، كل ما هنالك هو أنكِ برمجت على التفكير في أن أي شيء آخر فيما خلا ذلك هو شيء قبيح.»

– «إن الأمر ليس برمجة، لكنه رد فعل طبيعي فقط، والأهم من ذلك هو العدل. ففي الماضي كان كل شيء عشوائيًّا، فبعض الناس كانوا يتحلون بقليل من الجمال، ويظل معظم الناس قبحاء طوال عمرهم. أما الآن فالجميع قبحاء ... إلى أن يصيروا حسانًا. ما من خاسرين.»

صمتت شاي لحظة ثم قالت: «بل هناك من يخسرون يا تالي.»

ارتجفت تالي، فالجميع يعرفون فئة «قبحاء إلى الأبد»، وهي قلة من الناس لم تفلح معها العملية. ومثل هؤلاء القبحاء لا يراهم أحد في الجوار كثيرًا، ومع أنه يُسمح لهم بأن يكونوا بين الناس، فإن معظمهم يؤثرون التواري عن الأنظار، من

منهم عساه أن يفعل غير هذا؟ ومع أن القبح لا يفارق القبحاء الصغار، فإنهم صغار على الأقل. أما القبحاء الكبار، فأمرهم لا يصدق.

قالت تالي: «هل هذا هو السبب؟ أيساورك القلق من فشل العملية؟ هذا أمر سخيف يا شاي. فأنتِ لستِ غريبة الخلقة. بعد أسبوعين ستصيرين حسناء كالباقين.»

– «لا أود أن أصير حسناء.»

تنهدت تالي: «ها هو الأمر يتكرر.»

أردفت شاي قائلة: «لقد سئمت هذه المدينة، وسئمت قوانينها وحدودها. وآخر شيء أوده هو أن أكون حسناء جديدة تافهة، تقضي يومها كله في حفل واحد.»

– «كفى يا شاي، إنهم يفعلون كل الأشياء التي نفعلها، فهم يقفزون بالسترات المطاطية، ويطيرون، ويلعبون بالألعاب النارية. والاختلاف الوحيد هو أنهم لا يتسللون.»

– «هم لا يتمتعون بالمخيلة التي تجعلهم يتسللون.»

قالت تالي بحدة: «استمعي إلي أيتها العجفاء، أنا أوافقك الرأي، فتدبير الخدع أمر رائع! هل اتفقنا؟ وخرق القواعد أمر ممتع! لكن في آخر المطاف، عليكِ أن تفعلي شيئًا ما إلى جانب كونك قبيحة صغيرة ماهرة.»

– «كأن تصبحين حسناء تافهة مملة؟»

– «لا، كأن تصيرين راشدة. هل سبق وأن خطر ببالك أنه عندما تصيرين حسناء، قد لا تحتاجين إلى أن تقومي بأي خدع وتعبثي بالأشياء؟ ربما فقط كوننا قبحاء هو ما يجعل بدوره القبحاء يتصارعون وينتقد بعضهم بعضًا لأنهم غير سعداء بحالهم. حسنًا، أنا أود أن أكون سعيدة، والخطوة الأولى لتحقيق هذه السعادة هي أن أبدو كإنسانة حقيقية.»

– «لست أخشى أن أبدو على ما أنا عليه يا تالي.»

– «ربما هذا هو الحال معك، لكنكِ تخشين أن تنضجين!»

لم تنبس شاي ببنت شفة. وسبحت تالي على سطح المياه في صمت، شاخصة ببصرها نحو السماء، عاجزة عن أن ترى السحب من شدة غضبها. لقد أرادت أن تصبح حسناء، وترى بيريس مرة أخرى. لقد بدا الأمر وكأنه مر دهر من الزمان منذ أن تحدثت إليه، أو إلى أي شخص آخر فيما خلا شاي. لقد سئمت القبح برمته، وأرادت فقط أن تنتهي تلك المرحلة.

بعد دقيقة سمعت صوت شاي وهي تسبح نحو الشاطئ.